

شكرا لمن رفع الكتاب على الشبكة، قمنا بتنسيق الكتاب وتخفيض حجمه
مكتبة فلسطين للكتب المصورة

<https://palstinebooks.blogspot.com>

تَارِيخ الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ

المجلد الاول

عن محمد بن سعود والى عبد الرحمن الفيصل

١١٥٨ - ١٣٠٧

تأليف
أحمد بن سعيد

لوزيع

دار الكاتيب العرَبِي

تَارِيخ الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ

المجلد الاول

من محمد بن سعود الى عبد الرحمن بن فيصل

١١٥٨ - ١٣٠٧

تأليف
أحمد بن سعيد

لوزيع

دار الكاتب العزني

أسماء الذين تولوا الحكم من آل سعود الدور الأول

١١٧٨	مهمة ١١٥٨	الحجاسة	محمد بن سعود
١٢١٨	مهمة ١١٧٨	الحجاسة	عبد العزيز بن سعود
١٢٢٩	مهمة ١٢١٨	الحجاسة	سعود بن عبد العزيز
١٢٣٤	مهمة ١٢٢٩	الحجاسة	عبد الله بن سعود

الدور الثاني

١٢٤٩	مهمة ١٢٣٥	الحجاسة	تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود
١٢٨٢	مهمة ١٢٤٩	الحجاسة	فيصل بن تركي
١٣٠٧	مهمة ١٢٨٢	الحجاسة	عبد الله بن فيصل
١٣٠٩	مهمة ١٣٠٧	الحجاسة	عبد الرحمن بن فيصل

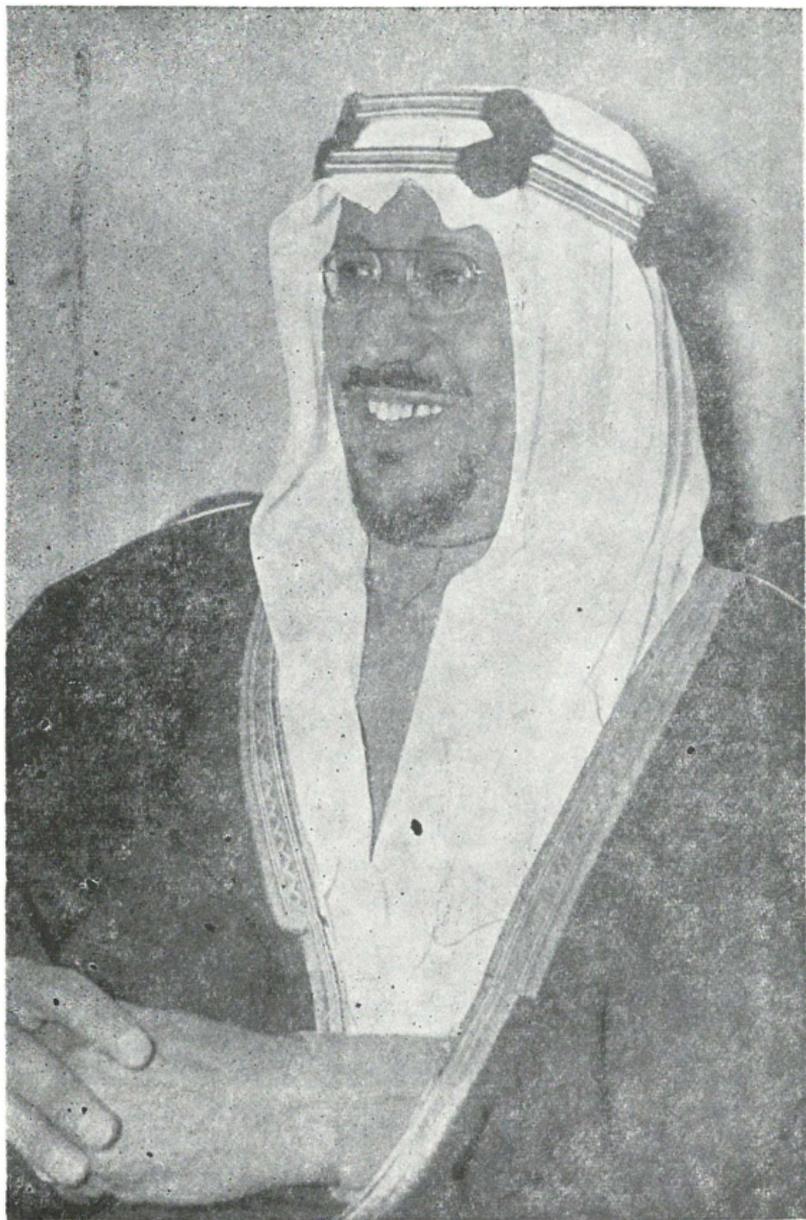
الدور الثالث

١٣٧٣	مهمة ١٣٠٩	الحجاسة	عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل
	مهمة ١٣٧٣		سعود بن عبد العزيز

للهِ دَرَا

مَوْلَايَ صَاحِبِ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْعِزِّ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعِزِّ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعِزِّ وَالْمَعْرِفَةِ

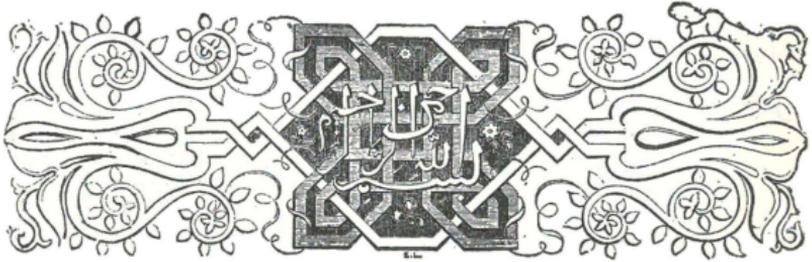
هَذَا سَجَلٌ مَفَاخِرِ أَسْدَادِ الْأَكْرَمِينَ
الَّذِينَ أَقَامُوا لِلدِّينِ عُمُودًا، وَرَفَعُوا
لِلْعُرُوبِ تَارِيخًا، وَالْإِخْلَاقِ مَنَارًا،
أَقْدَمَهُ إِلَى جَلَالَتِكَ وَأَنْتَ تَسِيرُ عَلَيَّ
خَطَاهُمْ، وَتَضِيفُ أَسْمَاءَهُمْ إِلَى أَسْمَاءِ
وَمَفَاخِرِ أَسْمَاءِهِمْ رَاجِيًا قَبُولَهُ
تَقْضِيًّا لَوَرْتِكْرَمًا.



حضرة صاحب المبدلة الملك سعود العبد العظيم



حضرة صاحب السمو الملكي آل سعود بن عبدالعزيز آل سعود
رجل الدولة الفولاذي، ودماعها الكبير الفكري،
ومؤسس النهضة، ورافع لواء الإصلاح



الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه أجمعين .

أما بعد فهذا سجل جامع لأخبار الدولة السعودية منذ نشأتها الاولى في نجد عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥) حتى هذا اليوم ، جمعت فيه كل ما وفقت اليه من أخبارها ، وضمنته كل ما عرفته من أحداثها ، وربطت بين أجزائه ، والفت بين عناصره وأسميته «تاريخ الدولة السعودية» وهو في ثلاثة مجلدات :

المجلد الأول - ويبدأ بالكلام عن ظهور الدعوة في نجد ، ويورد سيرة كاملة لمؤسسها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي ، مع سيرة كاملة للأمير محمد بن سعود امير الدرعية ، ناصر الدعوة وحامياها ، وسيرة نجله البطل الامير عبد العزيز وخليفته سعود الذي اتسعت حدود الدولة في ايامه فضمت تحت جناحها الحجاز وعسير وتهامة وقطر والبحرين ، ودقت أبواب الشام والعراق ، ورفعت رأس نجد ، وبوأنتها مكاناً عالياً في دنيا العروبة وآفاقها .

وخلف سعوداً الكبير، نجله عبدالله فنهج نهجه ، وسار سيرته ،
بيد أن انتداب محمد علي الالباني حاكم مصر لمحاربة الدولة السعودية،
وقد بدأ عدوانه منذ اواخر عهد سعود ، كان عاملاً قوياً من
عوامل التوقف ، ولكنه كان موقفاً ، فقد جدد الدولة ورفع
قواعدها، ونهض بأعبائها، الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود،
وخلف هذا نجله فيصل فسار سيرته ، ونهج نهج أجداده ، فأقبل
الناس عليه ، والتفوا حول رايته

وخلفه نجله الامام عبدالله، فنشبت في عهده نيران فتنة، أضعفت
الدولة ، وأطمعت خصومها . ويختم هذا المجلد بولاية الامام عبد
الرحمن بن فيصل الذي برهن ، رغم قصر عهده ، عن براعة فائقة ،
وكفاءة فذة نادرة .

المجلد الثاني - ويؤرخ للعهد الذهبي للدولة السعودية ، عهد الامام عبد العزيز بن
عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ، الكوكب الدرّي اللامع في تاج
البيت السعودي ، والبطل الفرد الذي اغدقت عليه الطبيعة أسمى
الصفات والمزايا ، فجدد الدولة وأحيّاها ، وقاد سفيتها سحابة نيف
ونصف قرن قيادة الربان الماهر الحبير ، فعظم أمرها ، واتسعت
حدودها ، وصارت لها الكلمة العليا في شؤون الشرق العربي ،
وفي رسم سياسته العامة ، وتقرير مصائر شعوبه ، وقد جباها العون
والتأييد ، كما أمد الحركات القومية في بلاد العرب بالمساعدات
الشمينة .

المجلد الثالث - ويؤرخ لهذا العهد الزاهر ، عهد الانشاء والتجديد ، عهد
الاستقرار والحيرات والبركات ، عهد الحضارة ونشر العلوم وبث
أنوارها .

ولقد رحلت أثناء اشتغالي بوضع هذا الكتاب رحلتين الى
المملكة السعودية، الاولى سنة ١٩٦٠، والثانية سنة ١٩٦٣، فجلت
في انحاءها ، وطلت في ارجائها ، ووقفت في الاماكن التي كانت
ميداناً للأحداث الجسام ، واستمعت الى أقوال الكثيرين من الذين
شهدوها واشتركوا فيها ، مما يب هذا الكتاب ميزة خاصة ،
فالكتابة عن خبرة واطلاع ، غير الكتابة عن النقل والسماع .

وهناك ميزة ثانية لهذا الكتاب أيضاً ، وهي انني عثرت على
نسخة من التقارير السرية التي كانت في حيازة حكومة الهند
البريطانية وفيها وصف كامل للعلاقات بين البيت السعودي وهذه
الحكومة مما لا يزال سراً مكنوناً حتى الآن ، يضاف الى هذا
وهذا ايضاً ، انني ما زلت منذ انتسبت الى الصحافة المصرية في سنة
١٩٢٢ ، أتابع أخبار هذه الدولة وأتصل برجالها وقادتها وأباحثهم
وأناقشهم وأفوز منهم بكثير من الاخبار والمعلومات التي اهتمت
بها واعتمدت عليها في كتابي هذا . وكل ما أرجوه ان يكون
نافعاً ومفيداً لأبناء أمتي العربية فيتدارسوه ، ويستفيدوا بما حواه ،
والعصبة لله وحده ، ومنه تعالى استمد العون والتوفيق .

مقدمة

دارت يوم ١٥ رجب سنة ٩٢٢ معركة فاصلة بجوار مدينة اعزاز شمالي حلب، بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم سلطان الدولة العثمانية، وبين جيش المماليك الشراكسة بقيادة السلطان الاشراف قانصوه الغوري انتهت بمقتل الثاني وفوز الاول ، فواصل سيره الى دمشق ومنها الى القدس وغزه ، وبلغ القاهرة يوم ٣ محرم سنة ٩٢٣ فدخلها، فكان ذلك نهاية حكم المماليك الشراكسة وبداية حكم الترك العثمانيين .

وأمرع الشريف بركات بن أبي تمي ، شريف مكة يومئذ ، وكان الحجاز كاليمين مشمولاً بنفوذ دولة المماليك، فأوفد نجله الى القاهرة يحمل مفاتيح الكعبة الى السلطان العثماني دليل الخضوع والطاعة ، وأبلغه انهم خطبوا باسمه على منبر الحرم المكي ، فشكره وأقر والده فيما كان عليه .

وخيب الحكم الجديد الآمال التي عقدها عليه العرب، اذ كان شرأ من الحكم المملوكي القديم فأبقى المماليك في الحكم وترك حبلهم على غاربهم ، واكتفى بأن

أقام « باشا » في قلعة القاهرة يمثله ، وحوله عدد من الضباط الترك الذين مرعان ما تفاهموا مع المماليك واندفعوا اندفاعهم في السلب والنهب ، وظلم الناس واضطهادهم ، مهملين كل مشروع للإصلاح والنهوض .

واستسلم العرب للأقدار ، وارتضوا بما قسم لهم وظلت بلادهم هادئة ساكنة حتى أواسط القرن الثاني عشر ، اي حتى ظهر في قلب نجد شيخ في مقبل العمر ، فرفع صوته بالدعوة إلى الإصلاح والى ترك البدع والخرافات والرجوع الى الاسلام الصحيح المبرأ من الشوائب ، المنزه عن العيوب ، فكان اول صوت يرتفع في العالم العربي بالدعوة الى الإصلاح والنهوض ، بعد الاحتلال التركي ، كما كان أول بشير يبشر بالقومية العربية ، ويدعو إلى احيائها وتعزيزها ، وهي التي جار عليها الترك وحاربوها حرب ابادة وإفناء ، فيقظة العرب ونهوضهم ، معناه في عرفهم ظهور الدولة العربية ، ومعنى ظهورها جلاؤهم عن بلاد العرب وهو ما كانوا يجاذرونه ، ويبدلون كل شيء في سبيل اتقائه واجتنابه .

وأيد آل سعود ، الدعوة الجديدة ، دعوة الإصلاح الديني واليقظة القومية وساروا في طليعتها فتمت وازدهرت ، وشرقت وغربت ، وذاع أمرها في العالمين العربي والاسلامي ، وتحدث عنها الناس في كل مكان ، وسارت بذكرها الركبان ، رغم مقاومة الترك الشديدة لها ، واقامتهم الحواجز والسدود في طريقها ، ولكن الافكار النافعة لا تقاوم ولا تصادم ، ولعل المقاومة تزيدها قوة واندفاعاً .

وسرت جرائم النهضة الجديدة ، جرائم اليقظة والإصلاح الى البلاد العربية المجاورة فتأثرت بها ، وتفاعلت معها ، فحفل النصف الأول من القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر بأحداث جسام هزت بلاد العرب الشرقية ، وأيقظت شعوبها وطوائفها ، فاندفعت تحارب الحكم التركي الفاسد ونسعى لاحتلال حكم عربي

قومي اسلامي محله ، ومصدر ذلك كله تلك الشرارة التي انطلقت فلمعت في آفاق نجد فأثارت السيليل أمام ابناء مصر والشام وشقت امامهم الطريق .

لقد كانت سلسلة احداث متشابكة الحلقات، وثيقة الارتباط، شهدها العرب في مصر والشام خلال تلك المرحلة ، ولولاها لما كانت هذه النهضة القومية الكبرى التي شملت العالم العربي كله في هذا القرن ، وأنشأت له هذه الدول التي تملأ الرحاب ، وتمز اعطاف كل عربي وتملأه عزة وافتخاراً ، والاحداث دائماً تبدأ صغيرة ثم تكبر وتنمو وتؤلف كلاً واحداً ، وثيق الصلة، متين الارتباط.

لقد ظهرت والنضال على أشده في قلب نجد بين انصار الدعوة وخصومها حركة قومية في فلسطين (سنة ١١٧٠ - ١١٨٠) قادها الشيخ ظاهر العمر فقاتل الترك وهزمهم وسيطر على صيدا وطبريا وبافا وعكا وغزة ونابلس اي على فلسطين الشمالية والوسطى .

والى جانب هذه المعركة التي تدور في فلسطين، كانت هنالك حركة اكبر تتمخض عنها مصر بدأت سنة ١١٦٩ بخلع نير الترك والغاء السيادة العثمانية ، فتسلم علي بك ، كبير المماليك زمام السلطة وتفرد بالحكم، واضعاً نصب عينيه احياء دولة المماليك القديمة وبمعناها بعثاً جديداً .

وأعد هذا حملة عسكرية تضم ثلاثة الاف جندي ومعها ٣٠ مدفعاً وأرسلها الى الحجاز فنزلت في جدة ثم تقدمت الى مكة فدخلتها بدون مقاومة تقريباً وأقالت الشريف أحمد بن سعيد اميرها وأبدلته بأخر اسمه الشريف حسين بن بركات وأبقت لديه حامية عسكرية .

وسجل الشيخ عثمان بن بشر صاحب كتاب تاريخ نجد هذا الحادث باقتضاب فقال وهو يورد اخبار سنة ١١٨٤ ان محمد بك أبا الذهب (نائب وزير مصر علي

بك) وصل ومعه الجند الى مكة وأجلى أحمد بن سعيد أميرها وولي الشريف حسين بن بركات وترك عنده عسكرياً وخرب بيت السعادة .

وأعد علي بك حملة عسكرية أخرى أوفدها الى سورية لمحاربة الترك وطردهم وذلك بالاتفاق والتعاون مع الشيخ ظاهر العمر زعيم حركة فلسطين، فواصلت التقدم حتى دمشق فدخلتها يوم ٦ حزيران سنة ١٧٧٢ بدون مقاومة تذكر فكانت اول حملة عسكرية عربية تدخلها بعد معركة مرج مدابق سنة ١٥١٦ .

وفجأة وعلى حين غرة، وفيما كانت الامور تسير في هذا الاتجاه، وبلاد الشام لابسة حلل الزينة، ابتهاجاً بالعهد الجديد، وفرحاً بالخلاص من الحكم التركي السيء الممقوت، اصدر محمد ابو الذهب القائد العام للحملة أمراً الى قواده بالانسحاب والرجوع الى مصر، وذلك بعد اربعة ايام فقط من وصولها. ولئن اختلفت آراء المؤرخين في تعليل اسباب هذا الانسحاب، الذي أثار دهشة عظيمة في جميع الاوساط، فان الذي نراه ان الحسد لا سواء، والرغبة في الحلول محل علي بك والجلوس في مجلسه، هو العامل الاول والآخر، فقد اعتقد هذا ان في استطاعته، بعد الفوز الذي أدركه في الحجاز والشام مقروناً بتأييد الحملة التي كان يقودها، ان يقصي سيده عن الحكم ويحل محله، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك، فقد سقط علي بك اسيراً يوم ٩ نيسان (ابريل) ١٧٧٣ في المعركة التي دارت بينه وبين ملوكه هذا في الصالحية (شرقي القاهرة) ومات بعد قليل مسوماً بأمره .

وقبل ان ينسى الناس ثورة علي بك واحداثها، وصلت الى الاسكندرية يوم ٦ محرم سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) حملة افرازية بقيادة الجنرال نابوليون بوناپرت لغزو مصر وانشاء امبراطورية فرنسية في الشرق العربي وشمالى افريقيا فقاومها الشعب المصري وقاتلها بقيادة الازهر، فقد سار شيوخه وعلماؤه بالمقدمة وبدلوا

ارواحهم في سبيل مقاومة الاحتلال الاجنبي الجديد الذي جاء يستعبدهم ويستحي نساءهم وابنائهم ، شأن كل احتلال ، في كل زمان وعهد ومكان وارض .

وصهرت هذه الاحداث الشعب المصري وبعثت فيه روحاً جديدة ، فنهض بعد جلاء الفرنسيين يقاوم الترك والماليك الذين حاولوا ان يعيدوه الى حكمهم وارغمهم على تعيين محمد علي الالباني والياً على مصر بمساعدة قادة الحركة الوطنية الجديدة في مصر ، بيد انه ما لبث ان اندفع ينكل بهم بعدما استتب له الامر كما اندفع في قتال جيرانه ابناء جزيرة العرب وأبناء السودان ، ثم اندفع في قتال الدولة العثمانية في الشام محاولاً ان يرثها ويحل محلها ، فانبرت له دول اوروبا ووقفت في طريقه وصدته عن سبيله واعادته الى السيادة العثمانية فكان ذلك اول تدخل لأوروبا في شؤون الشرق العربي وأول مرة تملي فيها ارادتها على شعوبه وسكانه .

وقبل ان يسدل الستار على هذه الأحداث الكبرى هاجم الفرنسيون الجزائر^(١) ، ثم كانت ثورة عرابي في مصر^(٢) ، وثورة المهدي في السودان^(٣) ، وكان لكل منها تأثيرها الكبير في عالمنا كله .

تلك خلاصة وجيزة لأخبار الثورات التي تفجرت في البلدان العربية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والثالث عشر بعد ثورة نجد ونهضتها ، فهي منها بمثابة الرائد، شق لها الطريق، وفتح لها الابواب فدخلتها وواصلت سيرها .

(١) هاجت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ فانبرى الجزائريون لمقاومتها وقاتلوا اصدق قتال بقيادة الامير عبد القادر الحسيني .

(٢) ثار المصريون بقيادة احمد عرابي باشا على الحكم السيء الذي اقامه الحديوي سنة ١٨٨٢

(٣) ثار السودانيون سنة ١٨٨١ بقيادة المهدي على الحكم المصري السيء وسعياً وراء انشاء حكم ديني اسلامي فكان لهم ما أرادوا .

ولقد سجلنا في هذا الكتاب اخبار الدولة السعودية الاولى ، وليدة حركة
الاصلاح الديني التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتبناها وقادها آل سعود
فحملوا رايها، وقاتلوا في سبيلها، فأثرت اطيّب الثمار، ونفخت العرب بهذه الدولة
العربية السعودية فكانت اول دولة مستقلة كبرى ينشئونها في داخل جزييرتهم
بعد دولة الخلفاء الراشدين فوحدت ما بين اجزائها وضمّت اليها الاقطار المجاورة
لها ، وجعلت لها كياناً ومقاماً .

لقد كانت نجد ، قبل هذه النهضة المباركة مقسمة الى مشيخات وامارات ،
لا رابطة تربط بين شيوخها ، ولا تعاون ولا تآزر ، الجار يفتك بجاره ،
والاخ يقتل أخاه ، الأموال منهبية ، والأمن مفقود ، والفوضى عامة ، والبدع
متفشية ، والحرافات منتشرة ، فكان عهد الجاهلية قد بعث وتجدد ، وكان
الناس قد عادوا يتسكعون في دياجيرها ، ويجحوضون في غمارها ، فجاءت دعوة
الاصلاح فأراحتهم من جميع امراضهم ، وشفقتهم من اوصابهم ، ومنحتهم أمناً
شاملاً ، واستقراراً كاملاً ، ومجتمعاً متضامناً ، ودولة قوية ، رفعت شأن نجد ،
وعززت مكانتها ، وبوأتها مقاماً رفيعاً في العالمين العربي والدولي ، ما كانت
لتبلغه لولاها .

ويؤرخ هذا الكتاب لهذه الدعوة الكريمة التي كانت مصدر خير وبركة
لنجد خاصة وللعرب والمسلمين عامة فقد أيقظتهم ، وأنهضتهم ، وأعادتهم الى جادة
الدين الصحيح ، ويسجل اخبارها من ساعة الميلاد حتى يوم الناس هذا ، ويربط
بين اجزائها ، ويفسرها تفسيراً صحيحاً يقربها من تناول العقول والافهام .

نجد في التاريخ

دخلت قبائل نجد في الاسلام مع قبائل الحجاز واليمن واهتدت بهديه ، وحملت رايته الى اقصى الارض وأدناها ، وقاتلت في سبيله اصدق قتال ، وكان لها جهد وجهاد في حروب العراق والشام ومصر ، وقد انتهت بانتصار ساحق للجيش الاسلامي العربية .

وأهملت الدولة الاموية نجد والحجاز (قلب الجزيرة العربية) اهمالاً شائناً معيماً ، وصارت تكنفي ، بعد ان انتقل مقر الحكم للشام ، بايقاد ولاه يمثلونها ، فكان لها في المدينة والري أو عامل ، ومثله في مكة ، وثالث في الطائف ، وكانت الاخير يشرف بطبيعة موقع المنطقة الجغرافي ، على أجزاء نجد العربية «عالية نجد» وعلى السراة وعسير ، وقد جرى بعض خلفاء الدولة على أن يزور الحجاز حاجاً فيهب بعض الاموال لمن يمشي في موكبه من المغنين والمرتفة ، أما الشعب ومصالحه ومرافقه فقلَّ ان كان يهتم بها ، او يسأل عنها .

واتبع العباسيون حينما انتقل الامر اليهم في النصف الأول من القرن الثاني (هـ) الطريقة نفسها ، بدون تغيير ولا تبديل إلا في الطريق الذي يسلكونه ، فكان

العباسيون يأتون الحجاز من الشمال بطريق حائل ، أما الامويون فكانوا يقدون من الجنوب بطريق البلقاء وتبوك ، وكانوا كالأمويين يوزعون الهبات والعطايا على المغنين والمرتفة ، على ان ورودهم انقطع منذ اواسط القرن الثالث (هـ) اي منذ سري الضعف الى جسم الدولة مما اطع فيها ولائها وحكامها ، فصاروا يستقلون بالحكم مع احتفاظهم بسيادة اسمية للخليفة القابع في قصره ، القانع بما يرسل اليه .

واغتنم الشريف ابو محمد الموسوي ، فرصة هذا الضعف فأنشأ في مكة في القرن الرابع (هـ) شبه حكم مستقل شمل معظم انحاء الحجاز وكان النواة الأولى لحكم الأشراف الهاشميين مع خضوع اسمي لسلاطين القاهرة ، ابوبيين وماليك وأتراك .

وأوفد الشريف بركات نجده إلى القاهرة في سنة ٩٢٣ هـ يحمل بيعته الى السلطان سليم العثماني حينما بلغها ، وأرسل معه مفاتيح الكعبة علامة الخضوع والاستسلام ، وأرسل اليه يقول أنه خطب باسمه على منبر البيت الحرام ، فسر السلطان وأبلغه بأنه أقره فيما كان عليه .

على ان الحكم العثماني الجديد ، انجبه في العصور الحديثة ، وبعد ان استقرت قواعده ، ورسمت اركانه ، الى تقليم أظافر الاشراف حكام الحجاز والحد من سلطانهم ، فصار يرسل الى مكة والياء يمثل السلطات الى جانب قائد عسكري برتبة «باشا» لقيادة الفرقة العسكرية التي جعلوا مكة قاعدة لها توطيداً لنفوذها ، وكان هنالك « محافظ » تركي يقيم في المدينة المنورة ، وكانت ايضاً قاعدة لفرقة عسكرية تركية ، مع قائمقام تركي يتولى الحكم في جدة ، وآخر في الطائف وثالث في ينبع . وهكذا ضمن الترك السيطرة على مدن الحجاز الكبرى وحواضره ، أما البوادي فتروكوا أمرها للأشراف يقومون على ادارتها اي ادارة القبائل العربية ، على انهم ما كانوا يتأخرون عن التدخل في جميع الأمور عند الحاجة ، والوقوف في طريق الاشراف بما كان يسبب كثيراً من

الاضطراب والقلق ، فقد كان كل فريق يحاول الاحتفاظ بسلطانه . وقد عانى
الجهاز الكثير من هذا الحكم «الثنائي» المزدوج مما كان يعد من جملة عوامل
تدنيه ومخبطاه .

ولقد حاولنا كثيراً في خلال دراساتنا لتاريخ الدولتين الاموية والعباسية
وتاريخ الايوبيين والمماليك في مصر ثم تاريخ العثمانيين الذين جاؤوا بعدم
وروثهم ، ان نعتز على اسم والي او حاكم ارسله هؤلاء او اولئك او احدم
الى نجد او احدى مقاطعاتها الوسطى او الشمالية او الغربية او الجنوبية ، فلم
نقع على شيء ، مما يدل على مزيد من الاهمال تحمل تبعته هذه الدول ويحمل
اصره رؤساؤها والذين قاموا بالأمر عليها .

على ان الذي استنتجناه في النهاية هو انهم تركوا امر مقاطعات نجد الوسطى
والغربية الى الاشراف الهاشمين حكام الجهاز الذين جروا على أت يشرفوا على
قبائلها اشرافاً جزئياً ، يؤيد هذا الاستنتاج ما وقفنا عليه في تاريخ ابن
بشر المسمى « عنوان المجد في تاريخ نجد » فهو وان كان يبدأ بتدوين الحوادث
من سنة ١١٥٨ وهي السنة التي لجأ فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى محمد بن
سعود في الدرعية ، فانه كثيراً ما اورد اخبار الغارات المتتابعة التي كان اشراف
الجهاز يشنونها على عربان نجد وقبائلها منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري ،
حتى ظهور الدعوة الدينية في نجد ، وكان اشراف الجهاز أول من قاتلها وحاول
صدها عن سبيلها . فقد شعروا من اليوم الاول بأن نجاحها وفوزها معناه ادالة
دولتهم ، والقضاء على نفوذهم ، وهو ما حدث بالفعل بعد حروب امتدت نيغاً
ومئة واربعين سنة ، وقد سجلنا اخبارها تفصيلاً في تضايف المجلدين الاول
والثاني من كتابنا هذا .

شعراء نجد الأوائل

مرى في أذهان الكثيرين ممن لم يزوروا نجداً ، ولم يتجولوا في انحاءها ، ويشاهدوا مغانيها ومرابعها ، ويقفوا على غياضها ورباضها ، انها صحار مقفرة ، ورمال محرقة وسباب جرداء ، وقيعان محرقة لا أثر فيها للحياة ، وهذا خطأ كبير ، ووم جسيم ، لئن جاز ترديده في المعصور الحوالي ، لصعوبة الانتقال ، وتعذر الاتصال ، فلا يصح ترديده في هذا العهد الذي اختزلت فيه المسافات ، وسهلت المواصلات ، وصارت النقلة فيه بين البلدان ، والتقلب فيها من اسهل الامور وأيسرها .

ولنجد ميزة كبرى ، امتازت بها على جميع العرب في ذلك العصر الذي اعتدنا أن نسميه جاهلياً ، فقد نبغ فيها فحول الشعراء الذين تفحوا تاريخ الأدب العربي ، بأكبر ثروة ، وكانوا بدوره على طول الزمان ، وحسبهم شرفاً وفخاراً ان العرب ما يزالون منذ خمسة عشر قرناً يتدارسون شعرهم وأديبهم ويستظرونه ويروونه ويرددونه في مدارسهم ومعاهدهم ومجالسهم ، ويضعون فيه المؤلفات الطوال ، ويعرضون في مجارده لاستخراج ما فيه من الآلىء والنفائس ، فزهير بن أبي سلمى نجدى ومثله ليبد ، والأعشى ، وطرفة ، والنابغة ، وعنترة . وهنالك من يلحق بهم امرأ القيس ، فكل هؤلاء الفحول المعالفة من

ابناء نجد ومن الذين ولدوا على أرضها ، ودرجوا على اديهما ، ونشأوا في ربوعها ومغانبها واستنشقوا أريجها وعبيرها ، واستوحوا آثارها وطلوها ، وما يزال الشعر العربي حتى يوم الناس هذا ، ورغم تتابع هذه القرون الطول ، يعتمد على ما ابتكروه وصاغوه من موازين وقواعد ما استطاع احد أن يضيف اليها جديداً ، أو يبتكر ابتكاراً .

على أن هذا يجب ألا يفسر بأن نجداً عقلت بعد عصور الجاهلية فلم تنفتح الادب العربي بشعراء من طبقتهم ومن وزنهم ، فهالك عشرات من الشعراء النجديين ظهروا ونبغوا في العصور الاسلامية وفي مقدمتهم جرير والفرزدق وغيرهم من الذين كتبوا ابجد الصفحات في تاريخ الأدب العربي ، وما يزال هذا شأن نجد حتى الآن ، فكلمنا غاب كوكب طلع غيره ، وكلمنا أفل بدر أشرق بدر آخر .

ولئن جاز اليونان ان تفخر بفلاسفتها وحكامها وأدبائها الذين نبغوا في القرن السادس قبل الميلاد ، اي منذ اربعة وعشرين قرناً ، وما يزال العالم يتدارس أدبهم وفلسفتهم وحكمتهم ويستقضي كل ما كتبه وكتب عنهم ، ولئن جاز للايطاليين ان يفخروا بهذه التماثيل التي تزين متاحفهم وقصورهم وهي من مخلفات العصور الوسطى ، ولئن جاز للانكليز ايضاً ان يفخروا بشكسبيرم وقد نبغ في العصور الوسطى ايضاً ، فان من حق نجد ان تفخر بشعرائها الذين نفعوا العربية بأرقى وأسمى ما جادت به القرائح من شعر وأدب ومن حق العرب كافة ان يفخروا بهم ويباهوا . وجبذا لو اهتم اهل نجد باحياء مفاخرهم ، وطبعوا دواوينهم ونشروا ما ابدعوه وابتكروه ، فان من حقهم عليهم ألا يحلوهم ، وأن يحبوا ماترهم ومفاخرهم ، وهي بطبيعتها خالدة على الدهر ما دام هنالك عرب يقرأون ، وما دام هنالك أدب يتدارس ويحفظ . وحتى لا يقال بأن عرب الجاهلية - وكانوا يسجدون لهذا الشعر ويحتفلون به في سوق عكاظ - اكثر تقديراً لشعرائهم ، من أبناء هذا العصر الذي نسيه تجوزاً عصر النور والثقافة والمعرفة .

دعوة الإصلاح الديني

ولنجد مزبة اخرى يحق لها أن تفخر بها ، فهي الارض التي أشرفت منها أنوار دعوة التوحيد والإصلاح الديني ، وانطلقت منها صيحة النهوض واليقظة القومية ، فأيقظت العرب والمسلمين ، وكانت طليعة ومقدمة لهذه النهضة العامة الشاملة التي تلف أقطار العالم العربي في هذا العهد .

والمزية الكبرى للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي ، صاحب هذه الدعوة وحامل لوائها انه كان اول من تنبه لحالة الجمود والتأخر التي كان يجب فيها سكان نجد ، والعرب والمسلمون مثلهم ، وأول من أدرك أن السبب المباشر لكل ما هم فيه من جمود وانحطاط هو ابتعاد جمهورهم عن جوهر الدين وروحه ، وأخذه بالقشور والحشويات ، وتمسكه بالبدع والخرافات ، ينغمس فيها وينجرف بتيارها .

لقد وُلد هذا الامام العظيم سنة ١١١٥ هـ ، ونشأ نشأة دين وتقوى في كنف والده الشيخ سليمان بن عبد الوهاب التميمي قاضي مدينة «العيننة» إحدى مدن مقاطعة العارض (وسط نجد) فأخذ عنه العلوم الدينية والعربية ، وقرأ

عليه بعض المطولات والامهات . ثم رحل بعد ان بلغ أشده ، واستقام عوده ، واكتتل عقله ، وتفتح ذهنه ، الى الحجاز فشهد موسم الحج وأدى فروضه ومناسكه ، ثم زار المدينة واجتمع الى من فيها من العلماء اسوة بما فعله من قبل في أم القرى .

وانجبه بعد ذلك صوب العراق ونزل مدينة البصرة ، وأقام فيها فترة طويلة باحثاً مستظلاً ، وساعده هذا الترحال ، وهياً له أسباب الاتصال بطائفة من المفكرين فدرس معهم حالة العالم الاسلامي ، وما يعانيه من امراض وعلل وأسقام .

وفتحت هذه الرحلات ذهنه ، وأضفت معلومات الى معلوماته ، وللأسفار فوائد لا تنكر مدلول عليها بما يشاهده المسافر من مشاهد ، ويسمعه من آراء وأفكار ، ما كان يصل اليها لو أقام ببلده ولزم منزله .

وقاده تفكيره العميق ، وهدهذه ذهنه الناقد ، الى حقيقة آمن بها كل الايمان ، وهي انه لا خلاص إلا بالرجوع الى حظيرة الدين والأخذ بما اخذ به السلف الصالح الذي اقام عمود الدين وآمن بما جاء به ايماناً صحيحاً صادقاً نابهاً من القلب والضمير .

وما تردد الشيخ وما خام ، بل انطلق ، بعد عودته الى نجد ، واستقراره في حريملا الى جوار والده قاضيها ، يجهر بدعوته ، دعوة الاسلام الصحيح ، ويعلم الناس معنى كلمة التوحيد ، وما تنطوي عليه من معان سامية ، وحِكَم رقيقة ، ويحضهم على ترك عبادة القبور ، ونبد البدع والخرافات والعمل بكلمة التوحيد .

ويقول الشيخ حافظ وهبة في كتابه « ٥٠ عاماً في جزيرة العرب » ص ٧ وهو يتحدث عن عهد طلبة العلم في الازهر : « انه سمع الشيخ محمد عبده يثني في دروسه بالازهر على الشيخ محمد بن عبد الرهاب ، وبلقبه بالمصلح العظيم ويلقبني تبة وقف دعوته الاصلاحية على الاتراك وعلى محمد علي الألباني لجهلهم ومسايرتهم

لعماء عصرهم من ساروا على سنة من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات
ومجافاتهم حقائق الاسلام .

وسمعت مثل هذا القول عن الشيخ محمد كامل القصاب ، وقد نشأ في أوائل
هذا العصر في دمشق ، وسمع من شيوخها الكبار الشيخ جمال الدين الفاسمي
والشيخ عبد الرزاق البيطار ، وأخذ عنها انها كنا يتبعان طريق الشيخ يأخذان
بما اخذ به ، فكثرت عدد اتباعها وأنصارها ، وكان ذلك بدء الحركة القومية في
الشام .

والاقوال في ذلك كثيرة ، والاجماع معقود على ان الدعوة شملت العالم
الاسلامي ، بعد العربي ، وهزته هزة عنيفة ، فكثرت عدد أنصارها ومؤيديها ،
وزاد تبعاً لذلك تأثيرها ، وعمت منافعها وفوائدها .

حالة تركيا وبلاد العرب حين ظهور الدعوة

استكملت أوروبا نهضتها منذ القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر هـ) فأنشأت صناعاتها ، ونظمت جيوشها ، وكونت أساطيلها وبرزت تجوب الشرق باجئة عن اسواق لتصريف مصنوعاتها ومتوجاتها ، وبلاد تستولي عليها ، او مغنم تقنمها .

وتشاء الاقدار ان يقع ذلك في نفس الوقت الذي نام فيه الشرق من أدناه الى اقصاه ، نوماً عميقاً ، وسرى الضعف في كيان دوله وشعبه ، وعم الجهل ابناؤه وسكانه ، فاستسلموا للأقدار ورضوا بما تجيء به .

وكان الانكليز حين ظهور الدعوة يوغلون في احشاء الهند يستصفون ولاياتها وأماراتها ، وكانت أساطيلهم وأساطيل البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين تجوب الخليج العربي باحثة عن الغنائم والنقائس ، تخرب وتدمر ، وتتهب وتسلم .

وقد أشرنا اشارة عابرة في المقدمة الى الحملة الفرنسية التي قادها نابوليون الى مصر ، وتلك التي أرسلتها فرنسا الى الجزائر ، كما لحصنا في الصفحات الآتية خبر

الاتفاق الذي عقده أربع من دول أوروبا الكبرى وهي انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا (ألمانيا) لخراج محمد علي من البلاد العربية والشامية والمناطق الأخرى التي كان يحتلها في الأناضول باستثناء مصر التي قررت ابقاءها له في ظل السيادة العثمانية . وبدهي ان هذه الاحداث وهي كبيرة وخطيرة ، أثرت تأثيراً كبيراً في عالما العربي وهزته هزة عنيفة ، وسهلت مهمة الدعوة في المرحلة الأولى ، على ان ما جرى كان فاتحة تدخل اوروبي واسع النطاق في شؤون شرقنا العربي، وما يزال ، مع الأسف قائماً ومستمراً حتى الآن ، ولعل دولنا العربية بعد ان وصلت الى ما وصلت اليه تتعاون على اجتثاثه ، فتوقف دول أوروبا واميركا عند حدها ، وتعيد للشرق العربي مكانته وسيادته .

حالة تركيا عند ظهور الدعوة

كانت حالة الدولة العثمانية ، عند ظهور الدعوة ، وانتشارها في اواخر القرن الحادي عشر مشوشة مرتبكة ، بسبب الانكسارات المتوالية التي منبت بها في شرق أوروبا ، فقد اجتمعت شعوبها وحكوماتها لمنازلتها وطردها من قارة أوروبا ، وقادت روسيا المعركة ، وأنزلت بالترك أفدح الحماز وما زالت وراءهم حتى طردوا نهائياً من تلك القارة في اوائل هذا القرن ولم تبق بأيديهم سوى منطقة صغيرة ، ولاية ادرنة ، بجوار عاصمتهم .

حالة البلاد العربية

وكانت البلاد العربية ما تزال في معظم اجزائها خاضعة للدولة العثمانية ، مشمولة بسيادتها ، تتلقى منها الاوامر والتعليقات ، فصر كانت خاضعة للمهايك الذين يتوارثون حكمها في ظل سيادة اسمية ووهمية للدولة العثمانية التي كانت تكتفي منهم باتاوة سنوية مقطوعة ملقية حبلهم على غاربهم ، ينهبون ويسلبون ، ويسومون الناس سوء العذاب .

وكان الاشراف الهاشميون يسيطرون على الحجاز وكان نفوذهم يشمل عالية نجد وكان الاشراف من آل خيبر يسيطرون على تهامة . أما عسير والسرارة فكان الامر فيهما لشيوخهما .

وكان العراق خاضعاً للدولة العثمانية بتولاه « باشا » بيعته السلطان ويقع في بغداد . وكان الخليج في مناطقه الشمالية ايضاً خاضعاً لشيوخه ورؤسائه .

وما كانت حالة اليمن تختلف عن ذلك كثيراً ، فالأئمة في صعدة عاصمتهم القديمة والباشا التركي في صنعاء يسيطر على بعض الاجزاء الساحلية .

أما في الشام ، فكان هنالك « باشاوات » اترك يقيمون في المدن والعوامم الكبرى ، ويحكم الشيوخ والرؤساء في المناطق النائية .

وكانت البلاد العربية كلها تعيش وسط ضباب كثيف من الجهل ، والتعليم يوشك ان يكون مفقوداً ومعدوماً وكان عدد الذين يقرأون ويكتبون في داخل المدن لا يتجاوز العشرات . أما الاقتصاد ومشروعاته فلا وجود لها . ومثل ذلك الامن فهو مفقود ، في حين ان الاقبال على البدع والخرافات كان مشهوداً بما سهل بالجملة مهمة الدعوة وفتح لها الابواب .

التفاق الدرعية

يقول مدونو سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ان والده الشيخ سليمان نصحه بترك الدعوة ، والعدول عنها ، حينما شرع بها ، خوفاً عليه فلا يصيبه اذى ولا يلحق به مكروه ، فتردد قليلاً احتراماً له ورعاية لمقامه ، بيد انه ما لبث عقب وفاته سنة ١١٥٣ أن انطلق في نشرها ، فأقبل عليه بعض ابناء مدينته وأيدوه وباعوه على السمع والطاعة .

وزجر الشيخ ، وكان في ابتداء امره ، بعض العبيد الذين كانوا يعيشون بالبلد بالفساد ، بعدما ظهر فسقهم ، وكثر عدوانهم ، وأنهم فحاولوا تسور داره ليلاً لاغتيا له ، فشعر بهم الجيران وصاحوا بهم ففروا وتواروا .

ورأى الشيخ بعد هذا الحادث انه لا بقاء له في «حريملاء» فهجرها الى مدينة «العينية» وهي غير بعيدة عنها ، كما انها في الاصل دار نشأته ، ومسقط رأسه ، فكانت الهجرة الاولى ، يهاجرها في سبيل دعوته ، دعوة الايمان والتوحيد .

ورحب به عثمان بن حمد بن معمر ، أمير العينية ورئيسها ، وأكرمه ورعاه ، رعاية لصداقة قديمة تربط بينهما وبين آلهما ، وتزوج هنا من السيدة جوهرة كريمة عبدالله بن معمر من اقارب الامير ورحمه .

وعرض الشيخ دعوته عليه ، وحثه على الدخول فيها ، وقال له اني لأرجو ان أنت قمت بنصرة لا إله إلا الله ان يظهر لك الله فتملك نجداً وأعرابها ، فأقبل عليه وبشره بالنصر والتأييد ، فكان اول من أيدها من ذوي السلطان وقد ظل هذا شأن آل معمر دائماً .

وتطورت الدعوة بعد انضمام ابن معمر اليها ، واعلانه تأييدها ، فازدادت قوة وزاد عدد الذين انضموا اليها ودخلوا فيها من ابناء العيينة انفسهم .

وكانت في العيينة أشجار يعظمها العامة ويعلقون عليها قطعاً صغيرة مما يلبسونه ، طلباً للبركة ، فبعث اليها الشيخ من قطعها بعد ان نقده اجراً من ماله ، وقطعت بدون مقاومة ولا حادث .

وكانت هنالك شجرة منزلة في مكان آخر وكانت اعظم الكل شأناً عند العامة ، فخرج اليها الشيخ سراً يريد ان يقطعها ، فحاول راعي غنم لأهل البلد كان هنالك منعه ، فأعطاه ما أسكته وصرفه ، وقطعت الشجرة وزال أثرها وتأثيرها .

وخطا الشيخ خطوة كانت اكبر وأوسع ، فاعتزم هدم القبة المقامة فوق ضريح زيد بن الخطاب ، احد الصحابة الذين استشهدوا في حروب اهل الردة سنة ١٢ هـ ، وهي بجوار مدينة «الجيلة»^(١) ، وقاتع ابن معمر بالأمر ، وقال له : «دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى» ، فأجاب موافقاً ، فقال : « اني اخاف ان يوقع بنا اهل الجيلة ان نحن هدمناها ولذلك اطلب ان تكون معي فوجودك ضمن للنجاح ، فصحبه اليها ومعه ٦٠٠ رجلاً من قومه وبين المدينتين نحو ٢٥ كم .

(١) « الجيلة » مدينة صغيرة في وادي حنيفة ، تقع في منتصف الطريق تقريبا بين العيينة والدريعية ، زارها المؤلف حين طوافه بنجد سنة ١٩٦٠ وشاهد الضريح نفسه (ضريح زيد بن الخطاب) ، وهو محاط بسور صغير . ويقول المؤرخون الاسلاميون ان معركة الجيلة كانت من أعنف ما دار في تلك الحرب ابان خلافة الصديق - ١٢ هـ .

وحاول اهل الجيلة المقاومة ، وجمعوا جموعهم استعداداً للقتال واحتلوا المواقع العسكرية ، بيد انهم ما لبثوا ان تراخوا ولانوا حينما رأوا ان الأمر جد ، وان القوم مصمون . وهدمت القبة بالفعل دون ان تراق دماء وتسفك ، وهدمها الشيخ بفأس اخذه بيده . وقد كان لهذا الحادث صدها الكبير ، ودويه العظيم في انحاء نجد كلها ، فتناقل الناس أخباره وتحدثوا عنه ، ذلك ان كثيرين من الجهال كانوا يعتقدون ان هدمه القبة بيديه قد يجر عليه وبالاً ، وقد يعرضه لنكبة تؤذيه . فلما انقضت ايام وأسابيع دون ان يُمس بسوء ، ارتفع شأنه عند العامة ، وعظم أمره وكثر عدد الموالين له .

وجاءته وهو في العينة امرأة اعترفت له بالزنا وهي محصنة ، فراه أمرها وظن ان بها خبلاً ، فتحدث اليها وأخذ وأعطى معها ، فوجدتها سليمة العقل والادراك . ثم كررت الاعتراف وقالت انها لم تكن مغصوبة وأن ما فعلته يستوجب الرجم ، فأمر بها ، فرجمت .

وطارت شهرة الشيخ وكثر الحديث عنه وعن دعوته الإصلاحية ، ووصل الخبر الى الحسا مكبراً ، فكتب سليمان بن عريعر الحميدي رئيس بني خالد وله الزعامة في المهوف والقطيف ، الى عثمان بن معمر يأمره بقتل الشيخ لخالفته الدين وخروجه على اوامره ، وهدده بقطع كل ما هنالك من صلات بينهما اذا تردد او تأخر ، فدعاه هذا اليه عقب وصول الكتاب وأطلمه عليه ، وقال له : « لا طاقة لنا بجرب ابن عريعر ، وليس من مصلحتنا اغضابه فانظر ماذا انت فاعل ، فقال له : ان ما تمت به وما فعلته ، وما دعوت اليه ، هو كلمة لا إله إلا الله ، واقامة اركان الاسلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فان انت تمسكت به ونصرته ، فإله مظهرك على أعدائك ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك ، واني لأرجو الله أن ترى من التمسكين والغلبة ما تملك به بلاده وما سواها وما دونها .

وسكت ابن معمر وأغضى .

وجدد ابن عريمر انذاره ووعيده ، بعدما علم ان كتابه لم يقد ولم يجد ، وأرسل يطلب من عثمان أن يقتل الشيخ ويربح بجداً منه ، فأرسل فدعاه اليه وقال له : ان سليمان أرسل يطلب منا قتلك ، وأنت تعرف انه لا مصلحة لنا في اغضابه ، ولسنا في حالة تمكثنا من مقاومته ، كما انه ليس من الشيم ولا من المروءة ان نقتلك وأنت في بلدنا ومن اهلنا ، ولذلك ارجو ان ترحل عنا وتتركنا . ثم دعا بعض فرسانه وكافهم بمرافقته الى المكان الذي يختار ويريد ، فقال انه سيقصد الى الدرعية ومحيط فيها رحاله .

وتقع الدرعية جنوبي العينة ، ولا تبعد عنها اكثر من ٣٠ كيلومتراً ، وكتلتاها في وادي حنيفة ، احد الاودية الكبرى ، وبينها اتصالات وثيقة وروابط كثيرة .

ودخل الشيخ الدرعية في الأصل . ويقول رواة سيرته انه دخلها خائفاً يتوقب لعدم وجود اتصالات مسبقة ، او روابط خاصة ، على انه كان متوكلاً على الله ومؤمناً اشد الايمان بدعوته ووائثاً من نجاحها وفوزها ، وهجرته الى الدرعية هي الثالثة ، والاولى من حريملا ، والثانية من العينة ، والمتفق عليه انه لقي عناءً في سفره اليها .

واتجه الى منزل عبدالله بن سالم العربي من سكانها وكان يعرفه من قبل وكان منتسباً اليه ، ومع انه رحب به الا ان امارات الخوف والجزع كانت تقرأ في أسارير وجهه ، فسكن الشيخ روعه ، وقال له : ولا تجزع ، سيجعل الله لنا ولك مخرجاً .

وقال له ايضاً :

نحن لا نبغي سوى الامن والامان وحماية الدعوة .

ومع اننا لا نعرف اسم اليوم ولا الشهر الذي كانت فيه هذه الهجرة ، إلا اننا اعتماداً على ما سجله الشيخ ابن بشر في تاريخه ، نقول انها كانت سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م) .

وانطلق العربي ، فزار مشاري وثنيان شقيقي الامير محمد بن سعود صاحب الدرعية وقص عليها قصص الشيخ ، وقال انه ينزل في بيته وانه يريد الحماية والامان ، فذهبا الى منزل شقيقهما الكبير وقابلا اولاً زوجته (موسى بنت ابي وحطان ، وكانت مشهورة بوفرة الذكاء وسعة المدارك والاحاطة بالأمور .

وتحدث الشقيقان مطولاً عن المهمة التي جاءا لاجلها ، وذكر ا خبر وصول الشيخ وأنه يبغى الحماية والرعاية والأمن والأمان ، وتكلما مطولاً عن الدعوة التي يدعوها ، وهي اعلاء كلمة التوحيد ، ومحاربة البدع والخرافات ، وقالوا انها لا يريان بأساً من حمايته ، وتأييد دعوته .

ونقلت السيدة الى زوجها ما دار بينها وبين شقيقه وأبلغته نبأ وصول الشيخ ودعته الى تأييده ونصرته لأنه يدعو الى الحق والى الاسلام الصحيح والرجوع الى الله .

ولم يتردد في القبول والاضطلاع بالمهمة العظمى التي اختارته الاقدار لها .

وبما تم الاتفاق عليه في هذا الاجتماع بين اقطاب البيت السعودي ، ان يبدأ الأمير الشيخ بالزيارة ، اكبارة لشأنه ، وتعظيماً لقدره ، ولكي يعلن جهراً للناس انه على وفاق واتفاق معه ، وانه صار في حماه وتحت جناحه ، وذهب الامير بالفعل الى دار العربي ، ولما دخل على الشيخ بادره قائلاً :

أبشر بالخير والعز والمنعة .

ورد عليه الشيخ فقال : وأنت ابشر بالعز والتمكين ، والغلبة على جميع بلاد نجد . انها كلمة لا إله إلا الله ، من تمسك بها ، وعمل لها ، ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد ، انها كلمة التوحيد ، وانها اول ما دعا اليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

وتناول الشيخ بعد ذلك الحديث ، فأفاض في الكلام عن سيرة الرسول الاعظم ، وما دعى اليه ، وما قام به اصحابه بعده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وقال : « ان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة

في النار ، .

وأفاض في الحديث عن البدع المتفشية في نجد ، وما عليه أهلها من الخلافات
والجور والظلم .

وختم محمد بن سعود الاجتماع ، فقال :
أيها الشيخ :

ان هذا دين الله ، ودين رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا شك فيه ، فابشر
بالنصرة لما أمرت به ، وبالجهاد في من يخالفك ، على ان لي عليك شرطين وهما :
الأول : اذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله تعالى ، وفتح الله لنا
البلاد فلا ترحل عنا ، ولا تستبدل بنا غيرنا .

والثاني : ان لي على اهل الدرعية خراجاً أتأوله منهم وقت الثمار ، فلا
تمنعني عن أخذه .

وقال الشيخ : وأما عن الأول ، فامدد يدك ، فمدها ، فقبضها وقال له :
«الدم بالدم والهدم بالهدم» .

وقال عن الثاني : «وأما هذه فلعل الله يفتح عليك الفتوحات فيعوضك من
الغنائم ما هو خير منه » .

وهكذا تم الاتفاق بينهما على الجهاد في سبيل الله ، واعلاء كلمة التوحيد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو اتفاق شرعي معقول ، كان
الاساس الذي رفعت عليه قواعد الدولة السعودية ، وكان فاتحة هذا التطور
العظيم في جزيرة العرب ، فقد بدل خوفها أمناً ، وجوعها شبعاً ، ورفع شأنها
وأعزَّ شعبها .

لقد كان اتفاقاً كريماً ، نافعاً ومفيداً ، وضع لغاية من اشرف الغايات
وأسمائها ، فحالفه النجاح شأن كل مبدأ شريف ، فالبقاء دائماً للأصلح والافضل ،
وما ينفع الناس يمكث في الارض .

نشأة الدولة السعودية

اعتبر المسلمون يوم وصول صاحب الرسالة المحمدية الى المدينة، مبدأ التاريخ الاسلامي ، وأرخوا به ، وما يزال هذا شأنهم .

واعتبر بعض الاجانب الذين كتبوا في السيرة النبوية ، يوم وصول الرسول الى المدينة ، يوم نشأة الدولة الاسلامية العربية ، فقد بدأ يمارس سلطات رئيس الدولة عملياً ، فهو زعيم طائفة من الناس لها وطن خاص بها ، تؤمن به وتلتف حوله ، وتتبع تعاليمه ، وهو يقود الجيوش ، ويجارب ، وبصالح ، ويعقد المعاهدات والاتفاقات ، وهي نفس السلطات التي يمارسها رئيس الدولة ، أي دولة .

ولا تتريب علينا ، أخذاً بهذه القاعدة ، اذا اعتبرنا يوم وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، وعقده اتفاقه مع محمد بن سعود ، هو يوم نشأة الدولة السعودية ، ويوم ظهورها وميلادها ، وبذلك تكون قد بلغت من العمر عند اعداد هذه الكتب للطبع ، في سنة ١٣٨٣ هـ ، ٢٢٥ سنة من عمرها الطويل .. أمضته في خدمة بلادها وقومها ودينها ولا تزال .

حالة نجد عند ظهور الدعوة

لم يكن في نجد عند ظهور الدعوة ، حكومة مركزية ، ذات نظم واوضاع ثابتة ، ترعى مصالح الناس ، وتسهر على أمنهم وسلامتهم ، تقيم احكام الشريعة ،

ونجبي الزكاة ، وتمنع العدوان ، وتعاقب الجناة ، وتهتم بالمشروعات الاصلاحية التي هي دعامة العمران ، وهي المهام الاصلية للدول المستقرة .

لقد كان شيوخ القبائل ، ورؤساء المدن ، وحدهم المسيطرون ، كل منهم في دائرته او مدينته ، يتم بمصالحه ومصالح عائلته أولاً ، ويطبق من الاحكام والنظم ، ما يتفق مع اهوائه ونزعاته ، فهو الحاكم المطلق ، وهو الذي يطرح الضرائب ويجيبها ، وهو كل شيء في بلده او قبيلته ، وتلك حالة أشبه ما تكون بحالة الجاهلية ، أو حالة الانسان في الدور الابتدائي ، حين لم تكن هنالك شرائع ، ولا اديان ، ولا حضارات .

ولما كانت الانسان مديناً بطبعه وروحه ، يميل الى الحضارة والاستقرار ، ويكره الفوضى ويسعى للخلاص منها ، ولما كان العامة من أبناء نجد شموها حالة الفوضى وملوها ، فلم يترددوا في قبول دعوة الشيخ التي جاءت لاتقاذهم ، فأيدوها وأمرعوا وتقلدوا السلاح لنصرتها .

ويؤخذ من المعلومات التي جمعناها ، انه كانت في نجد يوم ظهور الدعوة الإمارات الآتية :

- ١ - امارة آل معمر في العيينة .
- ٢ - امارة آل سعود في الدرعية .
- ٣ - امارة بن دواس في الرياض .
- ٤ - امارة آل خالد في الحسا .
- ٥ - امارة آل هزال ، في نجران .
- ٦ - امارة آل علي في الشمال .
- ٧ - امارة آل حجيلان في القصيم .

وكانت هنالك امارات ومشيخات صغيرة في غرب نجد ، في بيشه ، وفي وادي الدواسر ، وقحطان وغيرها ، وكانت جميعها في حالة غير طبيعية ، ولا مستقرة .

الدعوة والجمار

اعتبر الشيخ ، وان لم يذكر ذلك صراحة كتاب سيرته ، ورواة اخباره ، ان كل من لم يؤيده ، ويتبعه ، ويدخل في دعوته ، بعد ان بلغته ووصلت اليه ، في عداد الذين يجب على المسلمين قتالهم لكي يعيدوهم الى حظيرة الدين الصحيح . يؤيد هذا ، ما رواه الشيخ ابن بشر في تاريخه ، فقد أورد في الجزء الاول ص ٢٣ ، خبر مكتابة الشيخ لأهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وقضاتهم ومدعي العلم فيهم ، للدخول في الدعوة ، وقال : « ان بعضهم قبل واتبع الحق ، وان بعضهم سخر وهزه ونسب الشيخ الى الجهل ، ورماه بأشياء هو منها براء ، ولكنهم يريدون ان يصدوا الناس ، » .

ثم قال ما نصه : « وأمر الشيخ بالجهاد ، وحض اتباعه عليه ، فامتلوا . وأول جيش تألف من سبع ركائب ، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها ، سقطوا من اكوارها ، لأنهم لم يعتادوا ركوبها ، فأغاروا على بعض الاعراب وغنموا ورجعوا سالمين . » .

تلك هي قصة اول غزوة غزاها أبناء الدعوة ، ولئن كانت صغيرة ومحدودة ،

إلا أنها كانت مقدمة وطليعة لغزوات أخرى تلتها وشملت الحجاز ، والشام ،
والعراق ، وشرق وغرب ، وبوأت الدعوة ارفع مكان .

ويمكن تقسيم ادوار الجهاد التي مرت بها الدعوة الى ثلاثة :

الدور الاول - وقد ابتدأ بوصول الشيخ الى الدرعية ، وارساله كتب
الدعوة الى الرؤساء والقضاة في البلاد المجاورة سنة ١١٥٨ ، وامتد الدور حتى سنة
١١٧٩ ، أي حتى وفاة محمد بن سعود ، وكانت الاعمال العسكرية محدودة
وقاصرة على مقاطعتي العارض والوشم المتجاورتين .

الدور الثاني - ابتدأ ببيعة الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وتم فيه
اخضاع معظم مقاطعات نجد ، والوصول الى الحجاز ، وتامة ، وعسير ، وحدود
العراق والخليج .

الدور الثالث -- دور الامير سعود ، الملقب بالـكبير ، بدأ ببيعه سنة
١٢١٨ ، بعد مقتل والده ، وفيه استقرت قواعد الدولة على أمن الأسس ،
بعدما سيطرت سيطرة كاملة على مقاطعات نجد ، ووحدتها وبسطت نفوذها
وسيادتها على الحجاز ، وعـير ، وتامة والخليج .

تلك هي الادوار الثلاثة التي مرت بها الدعوة في خلال ٧٠ سنة ، احرزت
فيها انتصارات باهرة ، بفضل ايمان مؤيديها ، وكفاءة قادتها ، وتفانيهم في
نصرتها .

دروس الشيخ محمد مؤلفاته

عكف الامام الشيخ محمد بعد استقراره في الدرعية ، وبعد ان وجد الحماية والأمان ، على القاء دروس دينية عامة في مسجدھا ، وبدأ فعلم الناس معنى « لا إله إلا الله » ، وقال : « انها نقي واثبات ، ف « لا إله » تنفي جميع المعبودات ، و « إلا الله » تثبت العبادة لله وحده لا شريك له » .

وعلم أيضاً الأصول الآتية :

١ - معرفة الله تعالى ، بآياته ومخلوقاته ، الدالة على ربوبيته وألوهيته كالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والليل ، والنهار ، والسحاب المسخر بين السماء والارض ، وما الى ذلك من الأدلة في القرآن .

٢ - وعلم أيضاً معنى الاسلام ، فقال : « انه تسليم الامر الى الله ، والانتقاد لأوامره ، والانزجار عن نواهيه ، ومعرفة الاركان التي بني عليها ، وما ورد بشأنها من الأدلة في القرآن .

٣ - وعلم أيضاً سيرة النبي ، ومبعثه ، وهجرته ، ومعرفة اول ما دعا

اليه ، وهو « لا إله إلا الله » ، ثم معرفة البعث ، وان من أنكره ، أو شك فيه ، فهو كافر ، وما الى ذلك من الأدلة في القرآن .

٤ - وعلم معرفة الدين الاسلامي ، (دين محمد وأصحابه) وهو التوحيد ، وقال : « إن دين أبي جهل ، واتباعه هو الشرك بالله » .

وتوافد الى الدرعية ، بعد أن استقر فيها ، أنصاره من أبناء حريملا ، الذين اتبعوه ، وجاءه أيضاً فريق من رؤساء قبيلة «المعامرة» كانوا على خلاف مع عثمان ابن معمر في العينة . وتوافد أيضاً بعض أبناء المدن المجاورة ، فرحب بهم وآخى بينهم وبين أبناء الدرعية الذين رحبوا بهم أيضاً .

ووصلت الى العينة اخبار الحفاوة التي لقيها الشيخ في الدرعية عند آل سعود ، فحركت بعض السواكن في نفس عثمان بن معمر ، فجنح الى استرضاء الشيخ واعادته ، خصوصاً بعد أن لحق به رؤساء المعامرة ، فركب الى الدرعية مع نفر من قومه ، فدعوه للعودة معهم ، فاعتذر ، وقال : « ان هذا الأمر ليس لي ، بل هو الى محمد بن سعود ، فان أراد ان أذهب معك ذهبت ، وإلا فلا ، فاني لا استبدل برجل تلقاني بالقبول ، غيره » .

وذهب ابن معمر الى ابن سعود يستأذنه في سفره ، فقال : « ما الى هذا سبيل » .

مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب

والى جانب اشتغال الشيخ بالتدريس والتعليم ، فقد عكف على التأليف والتصنيف ، فألف ١٤ كتاباً ورسالة ما يزال الناس في نجد وفي جميع البلدان الاسلامية يقرأونها ويتدارسونها ، للافادة منها ، والانتفاع بها .

وهذه هي أسماء مؤلفاته التي وصلت إلينا :

- ١ - كشف الشبهات
- ٢ - كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد
- ٣ - رسالة مسائل الجاهلية
- ٤ - رسالة تفسير كلمة التوحيد
- ٥ - رسالة الاربع قواعد في الدين
- ٦ - رسالة في معنى الطاغوت
- ٧ - على أبواب الفقه
- ٨ - مختصر الشرح الكبير والانصاف
- ٩ - كتاب مجموعة الحديث
- ١٠ - كتاب السيرة المطولة

١١- كتاب مختصر المهدي النبوي

١٢- اربع رسائل في الاحكام العملية ، والردة ، وبعض فوائد التفسير .

١٣- تفسير بعض سور اجزاء القرآن

١٤- رسالة فوائد الفاتحة

ولقي وجه ربه في سنة ١٢٠٦ ، بعد أن رأى نجاح دعوته ، وشهد ثمارها الطيبة ، ونتائجها الباهرة ، فذهب الى الدنيا الثانية ، راضياً مرضياً ، بما قدم وأسلف .

وما يزال أحفاده في نجد يسرون سيرته ، ويجذون حذوه في التعليم والارشاد ، والدعوة الى الله والترحيد ، غير مدخرين جهداً ولا مسمى .

محمد بن سعود

يُعدّ الشيخ مانع المريدي العنيزي ، المؤسس الأول للبيت السعودي ، وهو في الاصل من شيوخ قبيلة عنيزة بن ربيعة ، كان يسكن في بلدة «الدروع» من نواحي القطيف ، في منطقة الحسا (شرفي نجد) ، دارت خلال القرن التاسع الهجري ، بينه وبين ابن عمه الشيخ درع رئيس حجر اليامة ، مكاتبات ، وجرت اتصالات ، فدعاه هذا ، وهو من أبناء عمومته ، الى الوفود عليه والنزول في جواره ، وأقطعه أرضي «المليد» و«غصيبة» المعروفتين في الدرعية ، فوفد اليهما مع أتباعه وذويه في سنة ١٨٥٠ هـ واستقر فيهما .

وحل «ربيعة» كبير انجال مانع محله في رئاسة العشيرة ، وأضاف ارضاً جديدة الى أراضيه ، انتزعها من آل يزيد ، وكانوا يجاورونه ، وهم في الاصل من آل «دغيث» من بني حنيقة ، بعد حروب وقتن ، فانسعت اراضيه ، وكثر عدد أتباعه .

واستأنف نجده موسى ، قتال آل يزيد ، حينما انتقل أمر العشيرة اليه ، فتغلب عليهم ، بعد معارك عنيفة ، واستولى على ملكهم ومنازلهم ، فدانت له

المنطقة ودخلت في طاعته ، فارتفع شأنه ، واتسع نفوذه ، وحل محله في رئاسة العشيرة ، بعد وفاته ، نجبه ابراهيم ، وورث هذا نجبه فرحات ، وأنجب هذا ربيعة ومقرن ، وأنجب «مقرن» محمداً وهو والد سعود رأس الاسرة السعودية . واستولى سعود هذا على الدرعية ، انتزعا من آل معمر ، وجعلها قاعدة له ، وتوفي سنة ١١٤٠هـ ، فخلفه نجبه محمد ، وهو الذي لجأ الشيخ محمد بن عبد الرهاب اليه وأولاه الحماية والرعاية ، وعاهده على نشر الدعوة ، وقد برّ بعهدة ، فحماه ورعاها ، وفتح الطرق امامها .

معارك الرياض

ولقد كانت معارك الرياض ، اول ما خاضته ، وأول ما اشتركت فيه ، ويقول الشيخ ابن بشر في تاريخه وهو يسجل احداث سنة ١١٥٩ ، وهي السنة التالية لنشأة الدولة السعودية الجديدة ، ان دهام بن دواس ، صاحب الرياض ، سار ومعه اهل بلده والصددة المعروفين ، من بوادي الظفير ، الى المنفوحة ، فاستولى عليها ، وثبت علي بن مزروع وطائفة معه وقتلهم وقتلوا عدداً منهم . ثم ارسلا الى الدرعية يطلبون النجدة (فزة) ، فانتدب بعض سكانها وعلى رأسهم عبدالله بن سعود ، فقاتلوا المهاجمين وردوهم ، فكان ذلك بدء الحصار بين الدرعية والرياض ، وكلاهما في وادي حنيفة ، ولا تبعد الثانية عن الاولى ، وتقع الى جنوبها في خط مستقيم ، اكثر من ٢٥ كيلومتراً .

وطلب دهام بن دواس ، بعد معارك وغارات ، عقد هدنة مع الدرعية ، وبذل خيلاً وسلاحاً ، فأعطيت له ، وتمهد باقامة شرائع الاسلام في بلده ، وطالب ارسال معلم يعلمهم التوحيد ، فأرسلوا اليه الشيخ عيسى بن قاسم . على ان هذه الهدنة لم تستمر اكثر من ثلاث سنوات ، تجدد القتال بعدها (١١٧٠) . أما سبب نقضها ، فهو نهوض دهام برجالها لقتال أهل الدرعية ، لأنهم حاولوا هدم الحاجز المعروف بالرشا ، القائم عند منفوحة .

وتجدد القتال ، وتعددت المعارك واستمرت بين الجيران حتى سنة ١١٨٧ ،
ففي هذه السنة ، سار عبد العزيز بن محمد سعود ، على رأس حملة كبيرة لمهاجمة
الرياض ، يريد انجاز امرها ، فاستولى بعد قتال استمر اياماً ، على بعض ابراجها
وهدم المرقب ، وقتل عدداً من أهلها .

وأعدت الدرعية ، بعد شهرين ، حملة اخرى لانجاز امرها ، وجاءتها الاخبار
وهي في طريقها ، بأن ابن دواس جلا عنها ومعه اهله وأمواله وبعض انصاره
وانه خاطب اهل الرياض حين الجلاء ، فقال لهم : « انه سم الحرب وملها ،
وانه لذلك ، اعتزم ترك الرياض نهائياً ، فمن أراد ان يتبعني فليفعل ، وإلا
فليبق في مكانه » . فتبعه فريق ، ولجأ فريق آخر الى الحرج في جنوب الرياض
وبينهما ٨٣ كيلومتراً .

ووجد الامير عبد العزيز الرياض خالية تقريباً حين دخلها إلا من بعض
المثقلين ، وحاز كثيراً من الاموال والامتعة ، وأقام على البيوت الخالية
حراساً يحرسونها ، وملك كل ما فيها .

وقدر الشيخ ابن بشر ، قتلى معارك الرياض بنحو ٤٠٠٠ رجل ، منهم
١٧٠٠ من المسلمين ، والباقي من أبنائها .

ولم ينقل السعوديون العاصمة الى الرياض ، بل أبقوها في مكانها بالدرعية ،
حتى هاجم هذه الجيش المصري ودمرها سنة ١٢٣٤ ، فنقلوا العاصمة اليها .

خضوع المدن المجاورة

كانت مدينة حريملا ، وهي في منطقة المينة ، اول مدينة تخضع للدعوة
بالقوة وتضم اليها سنة ١١٦٨ .

ووصل الى الدرعية في السنة التالية ١١٦٩ ، وفد من اهل القويبة ، وباع
على دين الله ، وعلى السمع والطاعة .

ووسعت الدعوة نطاق اعمالها العسكرية سنة ١١٧٠ ، فشملت مقاطعة «الوشم» ، ومقاطعة «سدير» . وحاصرت مدينة «ثاذق» فاستسلمت ، فانتدبت الدرعية الشيخ احمد بن سويلم ، ليعلم اهلهما التوحيد . واستولت في السنة التالية على الحوطة .

حرب الاحزاب

وحدث في نجد هذه السنة (١١٧١) ما حدث في المدينة في السنة الخامسة للهجرة تقريباً ، وخلاصة الامر ان عريم بن دجين ، شيخ بني خالد ، وهو عدو قديم للدعوة (انظر ص ٣٧) وقد هاله ما ادر كته من انتصارات ، ومن اقبال الناس عليها - أراد ان يقضي عليها ، ويطغىء نورها ، قبل ان تقضي عليه ، فجمع جموعه ، وسار حتى الجبيلية على مقربة من الدرعية ، بعدما استنفر اهل الوشم وسدير ، ومنيخ ، وبلدان الحرج ، فأقبلوا عليه وانضموا اليه ، فتألف منهم جمع كبير ، شعاره مهاجمة الدرعية والقضاء على الدعوة .

وحشدت الدرعية قواها ، ووقفت على قدم الاستعداد ، على ان الامر انتهى بحصول بعض مناوشات بسيطة ، ففرقت الاحزاب بسرعة ، بسبب الخلافات التي نشبت بينهم ، وعاد كل فريق الى دياره . على ان بعضهم ، ومنهم اهل ثاذق ، أرسل الى الدرعية يطلب الامان والعودة الى الطاعة ، بعدما تعهد بدفع غرامة .

معركة أحزاب أخرى

ما كادت الدرعية تتخلص من حلف الاحزاب ، الذي عقده وقاده عريم بن دجين شيخ بني خالد ، حتى فوجئت بحلف آخر ، أشد وأقوى وأكثر تضامناً ، قاده صاحب نجران .

لقد لجأ فريق من العجمان الى السيد حسن هبة الله ، صاحب نجران هذا ،
يستصرخه ويناشده المروءة ، ان ينضم اليهم في مهاجمة الدرعية . فاستجاب لهم ،
واعترزم السير معهم ، بعدما اتصل بعريعر بن دجين رئيس بني خالد ، وعقد
معه اتفاقاً يقضي بالتعاون ، وعلى ان يجتمع الفريقان عند الحائر (جنوبي الدرعية
بينها وبين الحرج) .

ومشى صاحب نجران بجموعه من يام والعجمان وغيرها ، ونزل بجوار الحائر
وحاصرها .

ووصل الحبر الى الدرعية ، فخرج الامير عبد العزيز على رأس قواته ،
فدارت معركة انتهت بانهزاه وارتداده ، بعد ان فقد نحو ٥٠٠ قتيلًا و ٢٢٠
أسيراً .

ويقول الشيخ حافظ وهبه في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين»
ص ٢٤٤ : « ان معركة الحائر ، زادت من هموم محمد بن سعود ، عندما رأى
جيشه وولده يعودان منهزمين من الحائر ، بيد ان الشيخ محمد شدد عزيمته
وذكره بما وقع للنبي في غزوة «أحد» ، كما ان زوجته ، وهي من الصادقات
المؤمنات ، كان لها أثر لا ينكر في تشجيع زوجها » .

وتم لمحمد بن سعود ، عقد الصلح مع صاحب نجران ، وانتفاذ الاسرى
فعاد إلى دياره .

ووصل بعد منصرفه ، عريعر ومعه قواه وأنصاره ، ونزل بجوار الدرعية
وأقام على حصارها نحو ٢٠ يوماً . ولما أدرك ان منالها صعب ، وانه لا فائدة
ترجى من الاقامة حولها ، عاد أدراجه الى بلاده ، مخفياً فاشلاً .

عبدالإمامعبدالعزیز

انتقل الحكم في سنة ١١٧٨ الى الامام عبد العزيز ، عقب وفاة والده وعملاً بوصيته ، فقد اختاره ولياً لهده ، بناء على اقتراح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فكان أول ولي للعهد يبايع في الدولة السعودية ، فالتف الناس حوله وأيدوه ، وقد كان معروفاً بالشجاعة والاقدام ، ساهم في معظم المعارك التي دارت وقاد اكثرها ، وكان من أشد انصار الدعوة ، كما كان العضد الايمن لوالده .

ان هنالك فرقاً كبيراً ، وبوناً شاسعاً بين حالة الدعوة في عهد الأب ، وبين ما صارت اليه في عهد الابن . فقد كانت في الاول ، ضعيفة محدودة القوى ، أما في العهد الجديد ، فالأمر مختلف ، فلها الكثير من الانصار والمؤيدين ، ولها الحيل ، والسلاح ، والرجال ممن تمرسوا بالحروب وألقوها ، وصاروا يتسابقون الى ورود معاركها ، والاتماس في أتونها .

وأخضعت الدعوة ، في عهد الامام الجديد ، معظم مقاطعات نجد ، فدانت لها مدن العارض ، والوشم ، وسدير ، وبلغت الخليج العربي ، واتصلت عن طريقه ، بالعالم الخارجي ، ولا تقل المسافة بين الدرعية والخليج عن ٥٠٠

كيلومتراً ، وهو في شرقها .

لقد كان دور محمد بن سعود ، دور ابتداء وتأسيس ، لقي فيه وأصحابه الأمرين في نشر الدعوة وحمايتها . أما دور الامام عبد العزيز ، فكان دور توسع وانطلاق ، وصلت فيه الى حدود العراق من جهة الشمال ، كما تخطت حدود الحجاز من جهة الغرب ، واستولت على مقاطعات السراة ، وعسير ، ونهامة ، واستقرت على شطآن البحر الاحمر ، استقرارها على شطآن الخليج ، والمسافة بينهما نحو ١٧٠٠ كيلومتراً ، وصار لها شأنها ، وصارت موضع اهتمام الدوائر الدولية والسياسية ، وازداد عدد المؤمنين بها ، والمنضوين تحت لوائها .

لقد ورث الامام عبد العزيز عن ابيه ، تركة صغيرة محدودة ، فأدارها على أحسن وجه ، فنتت وازدهرت وزادت أرباحها ، وارتفعت أسهمها ، وكثر الاقبال عليها .

غزو مقاطعة القصيم واخضاعها

وبدأ الامير عهده بغزو مقاطعة « القصيم » احدى مقاطعات نجد الشمالية الكبرى ، اشتهر أهلها بالتجارة ، كما اشتهروا بالفروسية . ولا تقل المسافة بينها وبين الرياض عن ٥٠٠ كيلومتر .

وأعد الامير ، بعد ٤ سنوات من ولايته ، أي في سنة ١١٨٢ ، حملة كبيرة لفتح القصيم ، قادها ولي عهده الامير سعود ، فهاجمت عنيزة ، احدى عاصمتي المقاطعة ، فوقع قتال بينها وبين أهلها ، ثم عادت الى قواعدها .

وسار اليها الامام عبد العزيز بنفسه في السنة التالية ١١٨٣ ، فهاجم الهلالية احدى مدنها ، واستولى عليها بعد معركة شديدة ، فأقبل عليه فريق كبير من ابناء المقاطعة ، وبايعوه على السمع والطاعة .

وواصل العمل ، فغزا قبائل الظفير والعجمان ، كما أتم اخضاع مدن الروم ،
والحرج في وسط نجد ، وبعض المناطق الجنوبية .

وعاد فاستأنف الغارة على القصيم سنة ١٢٨٦ ، فهاجم بريدة (العاصمة الثانية
للمقاطعة) فاستمعت عليه ، فضرب الحصار حولها وبنى بجوارها قاعدة عسكرية
لمضايقتها ، ملأها بالمقاتلة ، وولى قيادتها عبدالله بن حسن من رؤساء آل ابي
عليان ، ولم يطل الامر حتى استسلمت وانقادت ، كما استسلمت المقاطعات
الآخري .

نجد بين العراق والحجاز

استهل القرن الثاني عشر الهجري ، والحرب في داخل نجد توسك ان تلتف
أنفاسها ، بعد ان خضع معظم اقطارها ومدنها للدولة الجديدة ودار في فلكها .
ولفت هذا التطور الجديد في حالة نجد الداخلية ، وقيام دولة موحدة في
ربوعها ، تؤمن بالتوحيد وتدعو اليه ، وتطبق الأحكام الشرعية وتنفذها ،
أنظار جيرانها الغربيين والشمالين في وقت واحد : اشراف الهاشميون في
الغرب ، أي في الحجاز ، وكانت لهم السيطرة على بعض بوادي نجد ومناطقها
الشرقية المجاورة لهم ، كما كانوا يسيطرون على السراة وبعض اجزاء تهامة .
والترك في الشمال ، أي في العراق ، وكانوا يتابعون سير الدعوة عن كثب ،
وكانوا يخافون منها على المناطق المجاورة لجنوبي العراق ، وفي مقدمتها منطقة
حابل وغيرها .

وفجأة ، وعلى حين غرة ، وبدون انتظار ، وجدت الدعوة نفسها امام
خصمين جديدين ، تأبطا لها الشر ، ونهضا لقتالها من دون ان تعتدي عليها
أو تتحرش بهما .

وخاف كثيرون على الدعوة ، وخافوا ان يبلغ اعداؤها منها منام ، بسبب

وفرة القوى المادية لديهم ، وكثرة مواردهم وتعدددها ، واتصالهم بالعالم الخارجي ، يحصلون منه على كل ما يريدون ، بيد ان عدم وجود أي اتصال او ارتباط أو تعاون بينها ، وتفرد كل منها بالعمل لحسابه الخاص ، ومن دون أن يفكر حتى بالاتصال بجليفه ، ضمن لها التفوق والفوز في النهاية .. ويجب ألا ننسى ما للعقيدة والايمان من تأثير ، فقد كان النجديون يقاتلون دفاعاً عن عقيدة آمنوا بها وملكت عليهم نفوسهم ، في حين ان خصومهم كانوا يساقون الى القتال سوقاً ، لا عقيدة ، ولا ايمان ، اقصى مهمهم الفرار والعودة الى اهلهم وذويهم .

وهناك نقطة أخرى نحب ان ننبه اليها ، وهي ان الحرب كانت في تلك المرحلة ، سواء مع اترك العراق ، او مع اشراف الحجاز ، كر وفر ، أشبه ما تكون بالحروب البدوية ، فلا خطوط دفاع ، ولا مراكز تموين ، ولا مدفعية منظمة . على ان الحال تحول ، حينما تولى «باشا» مصر العمل في المرحلة القادمة ، فأدارها حرباً نظامية ، لم تكن معروفة من قبل داخل الجزيرة .

حرب العراق

كان حكام العراق اسبق بالعدوان على نجد ، وأسرع الى التحرش بها وارسال القوى لقتالها ، دون ان تعتدي عليهم او تدنو حتى من حدودهم ، وذلك بايعاز الاستانة كما نرى .

ويقول الشيخ ابن بشر وهو يسجل اخبار السنة الحادية عشرة بعد المائتين والالف ، ان ثويني السعدون ، شيخ قبائل المنتكك ، سار في شهر المحرم من هذه السنة ، بالعاكر والجنود النظامية ، وأهل الزبير ، وبوادي شمر ، وطبي وغيرهم ، ومعه كمية كبيرة من المعدات وآلات القتال والبنادق والمدافع ما بلغت حمولته ٧٠٠ جمل ، لمهاجمة نجد .

وحكومة بغداد هي التي امرت باعداد الحملة وسلحتها وأرسلتها للعدوان . وكان هناك اتفاق سري ، عقده قائد الحملة مع عبد المحسن بن سرداح شيخ

عشائر بني خالد ، عدو الدعوة الألد ، يقضي بأن ينهض هذا بجموعه وعشائره ،
فيأتي الى القصيم فينضم الى حملة ثويني ويشترك معها في القتال وفي بلوغ الدرعية ،
وكان احتلالها هدفهم الأوحد .

وبدأت حملة ثويني العمل بمهاجمة قرية «التنومة» من قرى القصيم ، فضربتها
بمدافعها ، ونهبها ، واستأصلت سكانها ، إلا من استطاع الفرار . ومشت بعد
ذلك الى «بريدة» احدى عاصمتي القصيم ، فقاومتها ، فحاصرتها . وجاءت اخبار
الى ثويني ، وهو مقيم على الحصار ، اضطرب لها ، فقد شبت فتنة في بلده وبين
قومه ، فأصرع بالعودة الى العراق . وكان ذلك أيضاً مصير جموع بني خالد
التي وصلت بعد رحيله ، فعادت ادراجها ، لأنها ادركت عجزها عن اثاره
الحرب لوحدها .

ولم تسكت الدرعية على هذا العدوان ، ولم تتغاض عنه ، بل ردت بمثله
فسار سعود (ولي العهد) سنة ١٢١٤ ، على رأس جيش كبير جمعه من حاضرة
نجد وباديتها ، نحو الشمال ، أي نحو حدود العراق ، فالتقى بثويني والذين معه
في ديرة بني خالد من ارض الصمان ، احدى بوادي نجد ، فأغار عليهم ونهب
اموالهم وحلّاهم .

وأعدت الدرعية حملة اخرى ، قادها سعود ايضاً ، فسارت حتى بلغت المكان
المسمى بـ «الروضتين» بين الطلاع وصفوان (اراضي الكويت في الوقت الحاضر)
فالتقت ببعض خصومها ، فناوشتهم وشنتهم .

وعاد ثويني نفسه ، فأعد حملة أكبر من تلك ، بالاتفاق مع سليمان بك والي
بغداد ، حشد لها عربان المنتفك ، وأهل الزبير ، والبصرة ، وقبائل ، المنطقة
وبني خالد ، وسار حتى الجبراء (اراضي الكويت الآن) ، فأقام فيها نحو ثلاثة
اشهر يرالي جمع القوى والحشود والجنود . ولما أتم استعدادة اركب جنوده
السفن ، فأبحرت بهم الى القطيف ، وسار منها الى الطاف ، ثم رحل فتزل على
الشباك ، وهو ماء معروف في ديرة بني خالد .

وكان الامام عبد العزيز يراقب من قصره في الدرعية ، حركة اعدائه ويراصل الاستعداد للقائهم . وكانت التعليقات التي اصدرها الى خادمه محمد بن معقل ، تقضي عليه بأن يسير بأهل الحرج ، ووادي الدواسر ، والافلاج ، والرشم ، وسدير ، والقصيم ، وشمر ، وينزل بجوار الطف ، وهو ماء معروف في ديرة بني خالد ، كما اصدر امراً آخر الى سكان البادية من مطير ، وسبيع ، والمعجمان ، واهل السهول وغيرهم ، بأن يقصدوا ديرة بني خالد ، بأهلهم ومواسيهم ويتفرقوا في مياهها ، ويحتشدوا بجوار المنطقة التي تنزلها الجملة .

وحشد اهل العارض وغيرهم ، وسار على رأسهم حتى نزل روضة التنهات (بجوار الدهناء) ، فأقام فيها مدة ، ثم اتجه نحو الماء المعروف بـ «حفرعك» فأقام عنده يراقب سير الحوادث ويتأهب لها .

وحدث ، والفرقيات يواصلان التأهب لحوض المعركة الفاصلة ، حادث مفاجيء ، حل المشكلة وأراح نجداً من الجملة وشتت شملها . وخلاصة ما وقع ان عبداً من عبيد جبور بن خالد ، طعن ثويني السعدون وهو في مجلسه وعنده بعض خواصه ، بحجة بين كتفيه ، كان فيها حنقه . ومع ان رؤساء جيشه كتبوا الحادث ونادوا بأخيه ناصر خلفاً له ، إلا أن انتشار الخبر احدث ذعراً بين القوم ، فولوا مدبرين لا يلوي أحد على أحد ، فلاحقت بهم قوى نجد تطاردهم وتتكلم بهم ، واستمرت تضرب في أفتيتهم حتى الكويت ، وغنمت منهم غنائم عظيمة .

وكان فوزاً عظيماً .

غارات نجدية على العراق

كانت حكومة بغداد ، هي التي بدأت نجد بالعدوان ، وأرسلت القوى لقاتلها ، من دون ان تسيء اليها ، او تعتدي عليها ، واثبتت سلمت ونجحت فذلك من عمل الاقدار ، ولها حكمها النافذ ، وأمرها المطاع .

ورأى الامام عبد العزيز ، انه لا بد له من عمل عسكري يعمل على حدود العراق ، ولو من باب المقابلة بالمثل ، فأعدّ حملة كبيرة قادها بنفسه ، فاخترقت حدود العراق ، وأوغلت حتى باغت مدينة «سوق الشيوخ» من اعمال المنتفك ، فهاجمتها وفتكت بسكانها ، ثم مرت بالسماوة على سيف البادية ، فهاجمت العربان الذين كانوا محتشدين هنالك من بادية شمر ، والظفير ، وآل بعيج ، والزقاريط ، فأوقعت بهم .

الترك يعيدون الكرة

وكبر على سليمان باشا ، والي بغداد ، ان تصاب قواه بالهزائم ، وان يغزو النجديون بلاداً يحكمها ، ويكتسحوا حدودها ، فأعد حملة كبيرة ولى قيادها نائبه علي بك ، أي انه نقل القيادة من شيخ عربي الى ضابط تركي يتق به ويعتمد عليه ، وحشد له حشداً كبيراً من الاكراد الذين يتق بهم أيضاً .
وانتخذ قائد الحملة مدينة البصرة قاعدة له ، وحشد لها كالعادة عربان المنتفك بقيادة رئيسهم الجديد حمود بن ثامر ، وآل بعيج ، والزقاريط ، وآل قشعم ، والظفير ، وشمر ، وأهل الزبير ، وجمع بوادي العراق ، يضاف الى ذلك مدفعية قوية ، ومعدات زائدة .

وسارت الحملة بجرأ الى الحسا ونزلت فيها ، وانضم اليها هنالك بعض اهل القرى الشرقية .

وهاجمت الحملة حصن الهفوف ، فاستعصى عليها ، فضربت حوله حصاراً فامتنع عليها .

وملّ رجال الحملة الاقامة في الحساء ، دون حرب ولا قتال ، والبدوي ملول بطبيعته ، لا يعرف الحصار ولا يؤمن به ، ولا يعرف المرابطة أمام الحصون ولا يزاولها ، فأخذوا يتسللون عائدين الى بلادهم .

ووصل في تلك البرهة ، سعد بن عبد العزيز ، على رأس جيش كبير الى الحسا ، لمنازلة الحملة ، فلما علم بارتحالها وتشتتها ، أمرع فرباط على الماء المعروف باسم «تاجر» في ديرة بني خالد ، لقطع الطريق عليها ، تمهيداً للايقاع بها .
ودارت مناوشات بين الفريقين ، انتهت بعقد اتفاق يسمح لكل فريق ان يعود الى دياره بدون حرب .

الهجوم على كربلاء

وأغار رجال الوالي سليمان باشا على قافلة للحجاج المسافرين بطريق النجف - حائل - المدينة ، بحماية آل سعود ، ونهبوا وأوقموا برجالها ، نكابة بالسعوديين وانتقاماً منهم . وزادت حكومة بغداد ، فمعت السفر الى نجد .
وأثار هذا العدوان الفظيع على حجاج بيت الله الحرام ، نائرة اهل نجد ، فقاموا بمركات واسعة على حدود العراق الجنوبية ، وأوغلوا في زحفهم فبلغوا منطقة الفرات الاوسط ، وهاجموا مدينة كربلاء ، واشتبكوا مع سكانها وأوقموا بهم ، ونهبوا كل ما كان في مسجد الحسين من تحف ومصاحف ثمينة كما نهبوا اموال السكان وفتكوا بهم .
وكان ذلك نهاية حروب العراق في هذه المرحلة .

حرب الحجاز

صلة الحجاز بنجد ، اوثق من صلتها بالعراق ، وروابطها اقوى وأمتن ، وحدودها غير واضحة ولا مرسومة ، هذا فضلاً عن ان اشراف مكة ، كانوا يعتبرون بلاد نجد ، وخصوصاً المجاورة للحجاز ، مشمولة بنفوذهم وخاضعة لهم ، وكانوا يواصلون ارسال الحملات عليها لتأديبها وجباية الزكاة من أهلها .
وتابع الاشراف سير الدعوة باهتمام ، وما كانوا ، كأكثر الناس في ذلك العهد ، يتوقعون لها نجاحاً ، على ان نظرم اليها ، اخذ يتبدل بعد ان شرقت وغربت

وضمت معظم مقاطعات نجد إليها ، وأدخلتها في دائرة طاعتها ، وأنشأت فيها دولة جديدة يحسب حسابها . وما قامت فيها دولة من قبل ، بلغت ما بلغته ، ووصلت الى ما وصلت اليه .

وهناك حقيقة لا بد لنا من تقرر بها ، وهي ان آل سعود ، لم يبدأوا الاشراف بالعدوان ، ولم يستفزوا ، ولم يأتوا بما يشتم منه رائحة التحدي لهم ، بل سعوا سعياً حثيثاً للتفاهم معهم ، ولاقناعهم بحسن نيتهم وصادق رغبتهم في انشاء افضل علاقات الود والصدقة معهم ، فلم يجدوا تجاوباً ، ولم يلبسوا عطفاً ، بل ولا ميلاً للتفاهم والتواصل ، اذا لم نقل العكس ، وهو ان الاشراف هم الذين بدأوا بالتحدي والاستفزاز ، وعملوا لتشويه سمعة الدعوة واظهارها على غير حقيقتها .

لقد كانت مكة في ذلك العهد ، حاضرة كبيرة من حواضر الثقافة في العالم الاسلامي ، ومركزاً كبيراً من مراكز الدعاية ، بسبب وفود الحجاج سنوياً اليها من جميع انحاء هذا العالم ، فكان الاشراف يرسلون دعواتهم ، فيندسون بين الحجاج ، فيصفون لهم الحالة في نجد ، ويكونون وينوحون ، ويشقون الجيوب ، ويلطمون الحدود أسفاً على الأضرحة والقباب التي هدمتها الدعوة ، وعلى منعها الاستغاثة بقبور الأولياء والصالحين ، وحملها الناس على اتباع سيرة السلف الصالح والاهتداء بهديه ، ومقاومتها البدع والخرافات ، ويقولون انها تحارب الاسلام وتقضي عليه ، وتنتشر ديناً جديداً ونحلة جديدة ، يبرأ منها الاسلام وينكرها .

ووصلت اخبار هذه الحملة المفتراة الى نجد ، وعرف ابناؤها ان الاشراف يجاربون الدعوة حرب دعاية عنيفة ، فرأوا باديء ذي بدء ، وقبل اتخاذ اي اجراء او تدبير عسكري ، ان يسعوا للتفاهم معهم عن طريق وفد يرسلونه اليهم فيطلعهم على حقيقة حركتهم ويصف لهم الاغراض التي ترمي اليها ، والمبادئ السامية التي انبثقت عنها ، ويذكر النتائج الباهرة التي ادركتها ، فقد استطاعت

في خلال سنوات قليلة ، ان تنقذ شعب نجد من الجهالة التي كان يجب فيها ، وتنشئ مجتمعاً جديداً يؤمن بالتوحيد ويتفانى في سبيله ، ويعتق مذهب السلف الصالح ، ويهتدي بهديه ، ينبذ التواكل ، ويكفر بالبدع والخرافات ، ويعمل لاعلاء كلمة لا إله إلا الله . واختار الامير عبد العزيز بن سعود الشيخ عبدالعزيز الحصري لهذه المهمة ، أوفده سنة ١١٨٥ الى الشريف احمد بن سعيد ، مع هدايا وكتاب خاص ، انطوى على الرغبة الصادقة في التفاهم والاخذ بمبادئ (التعايش السلمي) على طريقة أهل هذا العصر ، ذلك ان شعار الدعوة ، هو نشر السلام ، والتفاهم مع الناس عن طريق الاقناع والبرهان ، لا عن طريق العنف والقوة . وأتصل الشيخ عبد العزيز ، وهو اول موفد رسمي للدعوة الى الحجاز ، بعلماء مكة ، وتلا عليهم بياناً مطولاً عن الدعوة وعن المبادئ التي انبثقت منها ، وعن الاغراض التي ترمي اليها ، وعن النتائج التي أدركتها ، وقال ان مذهبنا هو مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وهو أحد المذاهب الاربعة التي انعقد عليها الاجماع عند اهل السنة والجماعة ، لا نخرج منه ، ولا نحيد عنه ، وهو يحض على هدم القباب ، ويمنع الاستغاثة بالصالحين وطلب شفاعتهم ، وهذا كل ما فعلناه . وارتاح علماء مكة الى ما سمعوا ، ويقول ابن غنم مؤرخ نجد ، وقد عاصر الرحلة ودون اخبارها ، واورد تفاصيلها ، انها نجحت نجاحاً باهراً ، وأذابت النلوج التي كانت تغشى علاقات البلدين ، ونسفت الداعية الباطلة التي كانوا يدعون بها ضد نجد واهلها .

وانتقلت الامارة بعد وفاته الى شقيقه الشريف مسعود بن سعيد ، وكاث أصلب عوداً من اخيه ، وأمىل الى الشدة والعنف ، فاستأنف الامام عبد العزيز الاتصال به ، عاملاً على انشاء افضل العلاقات معه ، وبدأ فأرسل اليه وفدأ من علماء نجد ضم ٣٠ عالماً لمساجلة علماء مكة ومناظرتهم واقناعهم عن طريق الدليل والبرهان ، بأن نجدأ تأخذ بما اخذ به السلف الصالح وتسير سيرته ، وأنها تتبع مذهب الامام أحمد بن حنبل ، دون ميل ولا انحراف .

وبدلاً من ان يستقبل الوفد ، وهو رسول سلام ، بما يجب له من الحفاوة والتكريم ، أصدر أمراً باعتقال العلماء القادمين وزجهم في السجن ، دون ان يدع لهم فرصة الاتصال بالعلماء المكين ، فيناظروهم ويعملوا للتفاهم معهم .

وليته وقف عند هذا الحد ، فقد جاء بقاضي مكة ، وأمره أن يصدر فتوى بتكفير أهل نجد ، وخروجهم عن الجادة. وقد كان لهذا التصرف المنكر ازاء رسل نجد وعلمائها ، الذين جاءوا ينشدون التفاهم ويدعون للسلام والوثام ، أسوأ تأثير في نفوس النجديين كافة ، فأدركوا ان القوم في مكة يتأبطون الشر لهم ولدعوتهم ويأتمرون بها ، ويسعون للقضاء عليها .

ولم يخرج ما جرى عبد العزيز ، ولم يحفزها على اتخاذ اي تدبير مماثل ، استبقاه للعلاقات الاخوية ومحافضة عليها ، ورغبة في التفاهم والوصول اليه .

وانتقل منصب الامارة بعد ذلك ، الى الشريف منصور ، فاعتنم امير نجد الفرصة ، وكتب اليه مبدياً رغبته في الوفود الى الحجاز لاداء فريضة الحج - كما طلب اليه التصريح لوفد من علماء نجد بالقدوم الى مكة لمناظرة علمائها ، ولاقامة الدليل على ان نجداً لم تخرج عن الشريعة ، ولم تبعد عن نهج السلف الصالح . وبديهي أن في الحاح البيت السعودي هذا الالحاح ، باجراء مناظرة بين علماء الدين في القطرين - ما يثبت وثوقه من صحة المبادئ التي تقوم عليها دعوة نجد ، ولولا ذلك لما اجمع اشراف مكة الواحد تلو الآخر على رفض المساجلة - ولما تمسكوا بموقفهم السليبي .

وعاد الأمير فكتب الى الشريف سرور ، عندما انتقل الامر اليه ، ليعلن رغبته في الوفود الى الحجاز ، لاداء فريضة الحج ، فرد عليه بأنه يأذن له بالوفود ضمن الاطار الآتي :

١ - ان يأخذ منه ما يأخذه من الاعجام ، من الضرائب والمكوس ^(١) .

(١) كانت القاعدة المتبعة ان يدخل النجديون الحجاز دون قيد ولا شرط ، ودون ان يكفوا دفع أي ضريبة .

٢ - ان يرسل اليه ١٠٠ من جياد الحيل .

وكان الرد بالرفض .

واستؤنفت المساعي ، حينما انتقل الأمر الى الشريف غالب بن مساعد ، وكان الجواب دائماً بالرفض ، بما أنشأ جواً من التوتر والجفاء ، خصوصاً ومكة طبقاً لأحكام الشرع بلد آمن ، يدخله كل مسلم ، دون اي قيد ولا شرط ، يضاف الى ذلك ، ان منع المسلمين من اداء فريضة الحج ، دون سبب معقول ، أمر غير جائز .

ورأى الشريف غالب هذا ، ألا يكتبني بمنع التجديدين من دخول الحجاز واداء فريضة الحج ، فأعد جيشاً من البدو والانصار ، زحف من مكة سنة ١٢٠٥ ، يريد الدرعية ، فكان ذلك فاتحة هذا النضال العنيف بين آل سعود والاشراف ، وقد استمر نحو ١٤٠ سنة (١٢٠٥ - ١٣٤٤) وانتهى بفوز الاولين ، وبخروج الآخرين .

ونحن نتابع الاحداث ونراقبها في تطورها، ونرمم لها صورة واضحة المعالم، خالية من كل تحيز او مبالغة .

المعركة الأولى

قاد الشريف عبد العزيز بن مساعد ، شقيق الشريف غالب ، الحملة الاولى ، وقدر عدد رجالها بعشرة آلاف مقاتل ، مسلحين بعشرين مدفعاً ، مع كثير من المعدات .

وكانت الدرعية وجهتها ، واخضع نجد غايتها .

وانضم الى الحملة كثير من عربان بوادي الحجاز وغيرهم من مطير وشمر من اعداء الدعوة ، أملأ بالغنائم والانتقام .

وواعات الحملة تقدمها حتى بلغت «قصر بسام» في السراة ، فوفقت عنده

وضربته بالمدافع ، فاستعصى ، فعاصرته نحو عشرة ايام ، مع ان عدد رجال حاميته ما كان يزيد عن ٣٠ ، فتركته وواصلت السير حتى قرية «شقرا» في عالية نجد .

ولحق الشريف غالب بن مساعد امير مكة بنفسه بالحملة ، ومعه بعض الامدادات ، وانضم اليها في منازل قرية شقرا ، ولكنها ثبتت وقاومت . وقد استمر حصارها نحو شهرين بما أزعج رجال الحملة ، فارتحلوا عائدين الى الحجاز بعد ان خسروا عدداً من القتلى .

وتفرق عربان نجد والحجاز من الذين انضموا الى الحملة ، بعد عودتها فاشلة مخفقة ، وعاد كل فريق الى دياره ، ونزل عربان مطير وشمر في طريق عودتهم على الماء المعروف بـ«العدوة» قرب حابيل ، فلحق بهم سعود وقاتلهم قتالاً شديداً فانزموا في نهايته . على انهم أعادوا الكرة بعد قليل ، فكان الفشل نصيبهم .

المعركة الثانية

كان الدور في هذه الحملة للدريعية ، فرأت ان تهاجم الحجاز وتضرب الشريف وأنصاره في عقر دارهم ، عملاً بقاعدة المقابلة بالمثل ، فقاد الامير سعود في شهر ذي القعدة سنة ١٢٠٩ حملة كبيرة ، واصلت السير حتى «تربه»^(١) ، فحاصرتها فامتنت عليها ، وصالحها في النهاية بعض اهل البلد ، ففقت عائدة الى نجد .

المعركة الثالثة

وأعد الشريف غالب بن مساعد في السنة التالية (١٢١٠) حملة جديدة ولى قيادتها فهد الشريف ، فسار يجموعه نحو «عالية نجد» وأغار على قبيلة قحطان ،

(١) اول مدن الحجاز من ناحية الشرق ، وفيها دارت المعركة الفاصلة سنة ١٣٣٨ بين الاخوان وبين جيش الامير عبدالله بن الحسين حينما تقدم يريد الرياض ، ولم تقم للدولة الهاشمية بعدها فائحة . وسترى التفاصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

فدار قتال عنيف بينهما بجوار ماء «ماسل» انتهى بفوز الحملة .

وردت الدرعية على الفور ، فسار محمد بن معقل بأهل شقرا ، والوشم ، وغيرهم ، واخترق حدود الحجاز وهاجم منازل قبيلة عتيبة بجوار «مران» الماء المعروف بجوار مكة ، فهزمهم وغنم غنائم كثيرة .

وقاد الامير سعود في السنة نفسها ، حملة هاجمت قبيلة بني عتيبة وغيرهم ونكل بهم .

المعركة الرابعة

واستأنتف الشريف غالب الكرة ، فأعد سنة ١٢١٠ حملة ، ولى قيادها ناصر بن يحيى الشريف ، فواصلت التقدم حتى ماء «الجمانية» في عالية نجد ، فنزلت بجواره ، وشرعت تستعد للنضال بعدما انضم اليها كثير من عربان الديرة .

وأصدر الامير عبد العزيز أوامره الى محمد بن ربيعان، ومن معه من عربان عتيبة ، وفيصل الدويش ومن معه من عربان مطير ، والى عربان السهول وسبيع ، والعجمان وغيرهم من بوادي نجد ، بالسير الى عالية نجد فينضوا الى هادي بن قرملة رئيس عربان قحطان . وأصدر مثل هذا الامر ، الى عربان وادي الدواسر .

ودارت المعركة بينهم وبين حملة الشريف، بجوار ماء الجمانية نفسه ، وانتهت بهزيمتها وتشتت شملها .

المعركة الخامسة

وفي سنة ١٢١٢ ارسل الشريف غالب ، حملة اغارت على فريق من عرب قحطان وكانوا عند «عقيلان» المعروف دون بيته في الحجاز .

وأرسلت الدرعية ، حمة الى ديار «بيشه» والجنبة ، فنازلت أهلها وحاصرتهم ولم تتحركهم إلا بعدما دخلوا في الطاعة . ولما بلغ ذلك الشريف غالب ، أرسل اليهم حملة بقيادة فهد بن عبدالله الشريف ، فحاصرم وأعادهم الى طاعته ، ثم قصد «رينه» من مدن الحدود ، فدار قتال شديد بينه وبين أهلها .

المعركة السادسة

وصلت الى مكة اخبار ، بأن حمود بن ربيعان ومن معه من عتبية وعربان الحجاز، وصلوا الى الدرعية ، ودخلوا في الدعوة ، وبايعوا على السمع والطاعة ، فأهم ذلك الشريف غالب وأقنقه ، فأعد حملة سار على رأسها الى عالية نجد وهاجم عربان قحطان ، فدار قتال كانت نهايته في مصلحته .

ثم سار بالحملة ، فنزل بجوار ماء القنصلية قرب «تربه» ، فلحق بها عربان قحطان ، ونزلوا قرب رينه ، فتجدد القتال بينهما .

ودخلت قبيلة البقوم ، وهي حجازية تنزل في مناطق الحدود ، بالدعوة ، وقدمت الطاعة .

المعركة السابعة

واغتتم الشريف غالب ، فرصة خروج الامير سعود ، على رأس حملة كبيرة الى الشمال ، فجدد حملة حشد فيها كل من استطاع حشده من المقاتلة ، وخرج على رأسها (شوال سنة ١٢١٢) متجهاً نحو نجد ، وواصل تقدمه حتى بوادي قحطان ، فقاتله عربها ، ثم انجه الى وادي «رينه» وكانت داخلة في الدعوة ، فقاتلها ، فقاومتها ، ثم ارتحل منها الى بيشة^(١) ، ونازل أهلها وقاتلهم وقاتلوه ،

(١) «بيشة» ، واد كبير يبلغ طوله نحو ٣٥٠ كم. وهو معمور وفيه كثير من الغرى والمزارع .

وانتهى الامر بدخولهم في طاعته ، ثم اتجه نحو الحُرما وهي واحة معروفة بجوار
تربه فنزل فيها .

وأرسل الامير سعود ، حينما جاءه نبأ هذه الحملة ، وكان لا يزال يغزو في
الشمال ، قعليات الى ربيع بن زيد ، أمير البوادي ، بأن ينهض بمن معه من
الدواسر ، للقاء الشريف ، فسار الى الحُرما وقاتله وهزمه وسنتت حملته .

ولقد كانت هذه المعركة ، آخر ما دار ، فقد فتحت الطريق الى مكة ،
بعدما خضدت شوكة الشريف وذعبت بقواه .

هدنة و صلح موقت

جنح الشريف غالب بن مساعد ، بعد هذه الهزائم التي أصيبت بها حملاته ،
وبعد ان استنفد جهده في المقاومة ، الى الصلح والسلام ، فدارت في سنة ١٢١٣
محدثات بينه وبين الدرعية ، انتهت بالاتفاق على انهاء حالة الحرب ، واقامة صلح
وسلام ، بشرط السماح لأهل نجد بالوفود الى الحجاز ، وتأدية فريضة الحج .

وعملأ بأحكام هذا الاتفاق ، وصل الامير سعود الى مكة ودخلها بموكب
ضخم ، ومعه عدد كبير من أهل نجد ، حاضرة وبادية ، فاعتسروا وحجوا
وعادوا الى بلادهم .

وكانت الحجة الاولى للأمير سعود ، وكانت في موسم سنة ١٢١٤ .

وعاد الامير سعود بعد دخول مكة ، فحج للمرة الثانية سنة ١٢١٤ ، وحج
للمرة الثالثة سنة ١٢١٥ ، واجتمع في هذه المرة بالشريف غالب وتحدث اليه ،
كما استقبل وفود العلماء ، ووزع الصدقات .

وعادت الحالة فاضطربت ، وعاد كل فريق الى حسامه فامتسقه . ويقول
مؤرخو نجد ان سبب نقض الهدنة هو خلاف نشب بين الشريف غالب ، وبين
وزيره عثمان بن عبد الرحمن المضايقي ، غادر هذا على أثره مكة وجاء الى

الدرعية ، فبايع الامير على السمع والطاعة ، ثم قصد « العيلا » وهي بلدة معروفة بين تربه والطائف وأقام فيها . فأعد الشريف غالب حملة سار على رأسها لمنازلته واخضاعه ، فدار قتال امتد اياماً ، عاد بعده الشريف الى الطائف دون ان ينال من خصمه منالاً .

وأرسل المضايقي الى نجد يستنفرها ويستصرخها لمساعدته ، فاستجابت له وأقبلت نصرته ، فسار الى الطائف ، وكان الشريف ما يزال ينزلها فهاجما ، فارتد الشريف والذين معه الى مكة ، فلحق بهم اليها ودخلها باسم الامير عبد العزيز سنة ١٢١٧ ، فأصدر هذا أمراً عينه بموجبه والياً على مكة والطائف .

ووصل الامير سعود بعدما جاءته اخبار هذا الانتصار ، الى الحجاز على رأس جيش كبير ، ونزل بوادي العتيق بجوار المدينة .

وانسحب الشريف غالب الى جدة ورابط وراء أسوارها ، ودخل سعود والذين معه مكة محرمين وأدوا فريضة الحج (موسم سنة ١٢١٧) وأعطى الامير الامان لأهل مكة ، وهدم المشاهد والقباب والاضرحة طبقاً للطريقة المتبعة عندهم ، كما ارسل حملة الى جدة ، فقاومها الشريف ودافع عنها وكانت محصنة .

وأرسل الشريف غالب من جدة ، الى الامير عبد العزيز طالباً الصلح وواعداً بالطاعة ، فاستجاب له وأعادته الى منصبه .

ولم يطل الامام الاقامة في مكة ، بل غادرها وحاشيته الى نجد بعد ان أقام فيها حامية قوية لحفظ الامن وتنفيذ الاحكام .

وهكذا أسدل الستار على حرب الحجاز الاولى ، وكانت في نهايتها نصراً عظيماً لنجد وأبنائها .

الاستيلاء على عسير

عسير مقاطعة جبلية واسعة ، تقع بين الحجاز واليمن ونجد ، قاعدتها مدينة دابها ، وكانت خاضعت عند قيام الدعوة لشيخها وللأشراف من آل خير الله وكانوا يسيطرون على اجزائها الغربية .

ووصل الى الدرعية في سنة ١٢١٥ محمد بن عامر الشهير بأبي نقطة ، وأخوه عبد الوهاب ، وهما من آل المتحمي من قبيلة ربيعة بن ربيعة ، احدى قبائل عسير الكبرى ، فدخلا في الدعوة وأبديا استعداداً للعمل تحت لوائها .

ولم يتردد الامير عبد العزيز بالموافقة ، وكانت جيوش الدرعة ترابط على حدودها ، وكان دعائها ورسلسها قد انتشروا بين قبائلها ، يدعون اهلها الى الدخول فيها ، ويشرحون مزايها وفوائدها . وأصدر الامام أمراً الى ربيع بن زيد امير وادي الدواصر (احد اودية نجد الجنوبية) بأن يغزو بلاد عسير متعاوناً مع محمد بن عامر واخيه . وما انقضى ذلك العام حتى دخلت عسير السراة في الدعوة وانضمت اليها .

وانبثت ضرايا الدعوة في داخل المقاطعة ، بالاشتراك مع قبائل عسير التي انضمت اليها ، فاستولت على مدينة بني شهر شمالاً ، وعلى الخلف السلباني غرباً ، وبسطت سيادتها على المقاطعة كلها ، وولى الامام عبد العزيز ، بعد انتهاء الاعمال العسكرية محمد بن عامر ابو نقطة امارة عسير السراة وما اليها . وتوفي هذا بعد سنتين ، فعين الامام في سنة ١٢١٧ اخاه عبد الوهاب خلفاً له ، مشترطاً عليه منازلة الشريف حمود أبو مسمار صاحب «أبو عرايش» احدى مدن تهامة ، وكانت تعتبر عاصمتها .

وزحف عبد الوهاب هذا على رأس حملة كبيرة ، فاستولت على ابو عرايش ، وأدخلت الشريف حمود في الطاعة . وانضمت قبائل عسير الى السعوديين في

حروب الحجاز ، كما انضم اليهم الشريف حمود نفسه واشترك في المعارك التي دارت . ويقول مؤرخو عسير ان عبد الوهاب زحف الى الحجاز في جمع عظيم من قبائل عسير ورابط بالقرب من جبل يللم ، ويقع في جنوب مكة ، ويبعد عنها نحو ٥٠ ك. وغزا الشريف غالب ١٣ غزوة كانت موفقة وناجحة .

وسقط عبد الوهاب قتيلاً في المعركة التي دارت بينه وبين الشريف حمود ابو مسار في سنة ١٢٢٥ عندما نقض بيعة السعوديين وانحرف عنهم ، فاخترت سعود الكبير ، وكان الحكم قد انتقل اليه ، طامي بن اشعيب بدلاً عنه ، فقام بعدة غزوات كان أهمها اشتراكه مع عثمان المضايقي ، امير الحجاز في العهد السعودي في قتال الشريف حمود ابو مسار في مكان اسمه وادي وحلة ، دارت فيه الدائرة على جيش الشريف حمود .

مقتل الامام عبد العزيز

في يوم ١٠ ، وقيل ١٨ رجب سنة ١٢١٨ ، والامام عبد العزيز يؤدي صلاة العصر في مسجد الشريف بالدرعية ، وفي الركعة الثانية ، انقض عليه درويش وطمعنه بمنجبر كان يخفيه في طيات ثيابه ، فمات على الاثر ميتة عمرية كريمة .
ووثب الناس على القتائل فقتلوه ، وقيل انه تصارع مع عبدالله أخي عبد العزيز ، وكان يؤدي الصلاة فقتله .

وجرى آل سعود بعد هذه الجريمة النكراء ، على ان يقف حارسان من رجال الامام الاشداء ، على رأسه وهو يؤدي الصلاة ، فلا تتكرر جريمة الشريف .

وكل ما عرف عن الجاني ، انه كردي من ابناء الهادية من اعمال الموصل بالعراق ، وان اسمه عثمان ، وانه وفد الى الدرعية سنة ١٢١٧ يتزيا بزي درويش ويتظاهر بالتقوى والتدين ، وكان يلزم المسجد ولا يبرحه ، مما اثار شكوكاً في

بعض النفوس ، فأراد بعضهم طرده ، ولكن الامام عبد العزيز حماه بحجة انه لم ييدر منه ما يؤخذ عليه ، وكان يعينه ببعض ما يقوم بأوده .

وانقضت ايام وأسابيع وهو مستغرق في العبادة، عاكف عليها حتى اكتسب الثقة العامة وصار يتجول كيف يشاء .

ولما ادرك انه صار في مقدوره ان يؤدي المهمة التي انتدب نفسه لادائها ، وثب وثبته ، وفعل فعلته .

وقيل في تعليل السبب الذي دفعه الى ارتكاب الجريمة وبذل نفسه ، هو الانتقام لما أنزله النجديون بمدينة كربلاء ومسجد الحسين فيها ، حين غارتهم عليها سنة ١٢١٦ (انظر ص ٦١) فقد أهاج ما جرى ، العالم الشيعي ، فتحمس عثمان وبذل نفسه في سبيل الانتقام .

عمد الامام سعود الكبير

ونودي بسعود على الفور ، أميراً للبلاد واماماً ، وقد سبق والده فعهد اليه بولاية العهد منذ سنة ١٢٠٢ .

والتفت نجد حول الامام الجديد ، وقد عرفت فيه المروءة والاقدام والشجاعة والنجدة ، عدا بلائه في الحروب التي اثبت انه بطلها المحرّب، وفارسها المقوار . ويضيف مؤرخو نجد الى اسمه لقب الكبير ، تعظيماً له ، وتكريماً لقدره ، وهو ما امتاز به وحده .

ولقد كان عهده ، العهد الذهبي للدولة الجديدة ، بلغت فيه منتهى القوة والعزة ، فبسطت نفوذها على الحجاز واستولت على بعض اجزاء اليمن ، وأخضعت الخليج ، ودقت ابواب الشام ، وغزت بعض مدن العراق ، وصارت أقوى دول العرب وأعظمها شأناً ، مما أربه الدولة العثمانية وأقلقها ، وكانت عدوة لكل حركة فيها معنى البعث العربي ، خوفاً على مقامها في البلاد العربية ، وجعلها تنهض لمقاومتها بواسطة العراقيين والاشراف .

على ان عهده كان أقصر من عهدي أبيه وجدده ، فهو لم يمتد أكثر من ١١ سنة ، اي من سنة ١٣١٨ حتى سنة ١٣٢٩ ، ورغم ذلك ، فانه كان أحفل بالأحداث الكبرى ، وقد شهد أوائل سني الغزو المصري، ومات وهو لا يزال في دوره الاول .

وفي عهده ، وللمرة الاولى ، صارت للدولة سياسة خارجية ، فأنشأ علاقات مع الانكليز في الهند وكتبهم وكتبوه ، مما تراه مفصلاً في هذا الباب . كما أنشأ علاقات مع نابوليون الفرنسي بمصر .

فتوحات سمود الكبير وغزواته

كان عهد سمود الكبير حافلاً بالأحداث كما قلنا ، طافحاً بأخبار الغزوات التي غزاها ، والفتوحات التي فتحها ، والمعارك التي خاضها ، فهو لم يكفد يعرف الهدوء والراحة في ساعة من ساعاته ، ولا في يوم من أيامه .

غزو البصرة وجنوبي العراق

وكان اول ما فعله عقب بيعته ، انه أمر بالتعبئة العامة ^(١) ، لغزو جنوبي العراق . ولعله فعل ذلك ثاراً لدم أبيه وانتقاماً من الذين تأمروا عليه .

(١) تختلف قواعد التعبئة العامة التي كانت متبعة عندهم ، عن نظم التعبئة المتبعة في الجيوش الحديثة. لقد كانت التعبئة تتم عندهم بالطريقة الآتية :

١ - يصدر الامام أمراً الى امراء المقاطعات بأن يأتي كل واحد منهم ، بكل من لديه من الرجال الى مكان ويوم يحددها .

٢ - يلي هؤلاء الطلب ، فيأتي كل منهم بمن لديه من الفادرين على القتال من سن ١٨ الى ٦٠ ومع كل واحد سلاحه الخاص وزاد يكفيه لمدة ثلاثة ايام .

٣ - بعد ان يتم اجتماع هذه الجموع في اليوم والمكان المحددين ، يصدر الامام أمره باسم الجبهة التي يراد الزحف عليها .

٤ - تظل التعبئة قائمة ومستمرة حتى يصدر الامام أمراً بانتهاء الأعمال العسكرية ، فيعود كل واحد الى بلده ويعود الى عمله الاصلي . ومعنى هذا انه لم تكن هنالك خدمة عسكرية ، ولا =

وكانت أوامر التعبئة تقضي بأن تكون قرية «التنومة» في القصب مركز التجمع .
وجاء الامراء ، وجاء الرجال ، وجاء الامام أيضاً .

وصلى عيد النحر لذلك العام (١٢١٨) وهو في التنومة ، فعيّد ، ونحر ،
وتصدق ، ثم اصدر أمراً الى عربان الظفير الذين في الحملة ، بأن يعودوا الى
ديرتهم ، وتقع في المنطقة الشمالية ، معلناً بأن الغاية من التعبئة قد تحققت ،
ولذلك فهو يعود الى الدرعية . وأصدر الامر بالرحيل اليها فعلاً .

لقد كانت للامام غاية مضمرة من وراء اعادته عربات الظفير الى ديرتهم ،
لقد كان يريد من وراء التظاهر بالعودة الى الدرعية ، تضليل سكان الشمال
وبعث الاطمئنان الى نفوسهم ، لكي يتسنى له اخذهم على غرة والايقاع بهم ،
فيتال منهم ما يريد نيله بدون كبير تعب ولا عناء ولا زائد تضحيات ،
والحرب خدعة كما يقولون .

ومجدثنا ابن بشر في تاريخه (ص ١٤٠) بأن الامام سعود كان يتبع هذا
الاسلوب في غالب غاراته ، فاذا أراد غزو اهل الجنوب ، أعلن انه يريد غزو
الشمال وبالعكس ، ثم يعود بعد ان يبعث الاطمئنان الى نفوس اهل المنطقة
التي يريد غزوها فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وينفذ فيهم ارادته .

وطبقاً للخطة التي رسمها ، سار بجيوشه نحو الدرعية للتضليل ، ثم اصدر بعد
يومين أمراً بالاتجاه نحو الشمال ، وكانت مدينة البصرة هي المقصودة بالذات .

والتقت الحملة وهي في طريقها الى الزبير ، بسرية لعرب المنتفك أو عرب

== تجنيد اجباري ، ولا تدريب ، ولا تمرين . فالكل جنود يدعون للعمل عند الحاجة ، ويعودون
الى منازلهم بعد زوالها .

ولقد أخذت الدولة السعودية بالنظم الحديثة المتبعة في التعبئة مع تعديل يسير ، فقد أنشأت جيشاً
طبقاً للأغاط الحديثة ، له ضباط ، ومدارس حربية ، وفواد ، ومدربون . على أنها لم تأخذ بنظام
الخدمة العسكرية الازامية ، اكتفاء بوجود الجيش الاهلي الذي أنشأته وأسمته «الحرس الابيض»
ويتألف من متطوعة يدرّبون أيضاً على الأسلاب الحربية الحديثة ، ويسلحون بالأسلحة الحديثة .

السعدون كما يقولون اليوم، فضربتها وأصرت قائدها منصور بن ثامر، وواصلت السير حتى مدينة البصرة ، فأعملت فيها يد القتل والسلب والنهب .

وعادت الى مدينة الزبير ، بعد ان أنجزت مهمتها في البصرة ، فحاصرتها واكتسحتها وهدمت كل ما فيها من قباب ومشاهد ، وفي جملتها القبة المقامة على ضريح طلحة ، وتلك التي على ضريح الزبير . والصحبايان مدفونان هناك حيث كانت وقعة الجمل المشهورة .

وعادت الحملة الى الدرعية بعد ان أقامت ١٢ يوماً في الزبير^(١) ، مكلة بالنجاح والتوفيق .

(١) تقع مدينة «الزبير» بجوار البصرة الى شرقها ، والمسافة بينها نحو ١١ كم ، وغالب سكان الزبير من أصل نجدية .

العودة الى الحرب في الحجاز

هدأت الحرب في الحجاز عقب اتفاق سنة ١٢١٧ ، وبعد أن دخلت مكة في طاعة السعوديين ، فارتاح الناس وحيج اهل نجد، وعلى رأسهم الامام سعود . ووصلت اخبار الى الدرعية في أواخر سنة ١٢١٨ ، بأن الشريف غالب بن مساعد يأتي من الاعمال بما يخالف العهد الذي قطعه على نفسه ، فقد جاء بقوات من جدة وأخرج الحامية النجدية من مكة ، ووضع يده على الحكم واستقل به . ويلوح لنا انه لم يفعل ما فعله إلا بعد ان جاءت اخبار حملة نابوليون وعودة الاتراك الى مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها ، فتحمس واندفع معتقداً انه صار بإمكانه ان يتخلص من سلطان نجد . وقد أثبتت الحوادث انه كان مخطئاً وكان منسرعاً .

وأصدر الامام سعود في شهر محرم سنة ١٢٢٠ أمراً ببناء حصن في وادي فاطمة بجوار مكة ، أقام فيه حامية قوية لمضايقة الشريف غالب وازعاجه ، كما أصدر أمراً الى عبد الوهاب بن عامر عامله على عسير والمع وتهامة بأن يسير على رأس قواه الى جدة لمنازلتها ، وتلقى عربان الحجاز والحبت مثل هذا الامر . ووصلت هذه الحملة الى مكان يسمى « السعدية » على سيف البحر بجوار جدة

ورابطت فيه ، فخرج الشريف بقواه لئلازلتها ، فهزمته ، فعاد الى مكة وتمحصن فيها .

وفرضت الدرعية الحصار على مكة ، وقطعت كل اتصال بينها وبين نجد وعسير ونهامة ، وأغلقت كل باب في وجهها ما عدا البحر ، فساءت الحالة في داخلها ، واشتد الغلاء ، وعظم الكرب على السكان ومات بعضهم جوعاً .

وأصدر سعود في السنة التالية اوامره الى أمرائه في عسير ، وبيشة ، والطائف ، بأن يسيروا بجمعهم الى مكة ويضيقوا عليها ، فأدرك غالب انه كان مخدوعاً ومتسرعاً ، فأرسل يطلب مواجهة سعود ، معلناً استعداداه للعودة الى طاعته ومبايعته على السمع والطاعة ، فاستجاب له وأمر برفع الحصار ، ففتحت الطرق ، وجاءت وفود الحجاج ، وتحسنت الحالة . غير ان عهد الصلح والسلام هذا لم يطل ايضاً ، بسبب تصرفات تصرفها الشريف ليس بينها وبين حسن النية سبب او صلة ، فقد استبقى كما يقول مؤرخو نجد ، عدداً من الجنود الترك والمغاربة وغيرهم في مكة بعد الحج ، زاعماً ان أمير الحج الشامي هو الذي رتبهم بأمر الدولة العثمانية ، كما انه راح يحصن جدة وحفر حولها خندقاً ، ومنع دخولها على النجديين ، وصار يقضي فيها اغلب اوقاته .

على ان ذلك لم يبعث سعوداً على اتخاذ اي تدبير نحوه .

بيعة أهل المدينة

وفد في سنة ١٢١٨ الى الدرعية ، بادي وبداي ولدا بدوي بن مضياف رئيس عشائر حرب ، أكبر القبائل التي تنزل بين الحرمين (مكة والمدينة) وبايعا باسمها وبأمر عربانها ، سعوداً على السمع والطاعة ، فأرسل معهم معلماً يعلم قومها التوحيد .

وضربت قبائل حرب ، الحصار على المدينة لملها على الدخول في طاعة الدرعية ، ثم اقامت حصناً بجوارها وملأته بالجنود والمعدات لمضايقه اهله .

وانضم سكان قبا الى الدعوة مع من حولهم واشتركوا في الحصار وقطعوا كل صلة بين المدينة والحارج .

وكاتب اهل المدينة الدرعية ، بعد ان استمر الحصار نحو سنتين لقوا خلالها الاربن ، معلنين الخضوع والاستسلام ، فاستجاب لهم وتمت البيعة سنة ١٢٢٠ ودخلت طيبة في عداد البلدان الموالية .

سعود في المدينة

ووصل الى مكة سنة ١٢٢١ الامام سعود على رأس وفود كثيرة تواردت من جميع انحاء الاقطار الموالية ، فاستقبله الشريف غالب وبإبعه على السمع والطاعة ، فأقره في منصبه .

وأجلى سعود في هذا العام كل من كان في مكة من الترك ، ووزع الصدقات والاعطيات ، وكسا الكعبة . وبعد ان قضى حجه ومناسكه وأتم ترتيب كل شيء ، قصد في اواخر شهر ذي الحجة الى المدينة ، فاستقبلته احسن استقبال ، فرتب حكومتها ونظم أمورها ، وأقام حامية في داخلها ، وأجلى كل من كان فيها من الموظفين الترك .

وحج في السنة التالية (سنة ١٢٢٢) وحج سنة ١٢٢١ ، وسنة ١٢٢٤ ، وسنة ١٢٢٥ .

وخطب هذا العام ، وهو محرم على ظهر ناقته والناس مجتمعون حوله ، في مسجد نمره في عرفات ، فوعظهم وعلمهم المناسك ، وذكّرهم بما أنعم الله عليهم من الاعتصام بكلمة « لا إله إلا الله » ، وما أعطى الله ضمنها من التلاقي بعد الفراق ، ومن امان السبل ، وكثرة الاموال ، وانقياد عتاة الرجال ، وقال : « ان اضعف ضعيف في هذا العهد يأخذ حقه كاملاً من اكبر كبير من مشايخ البوادي ، ومن اعظم عظيم من رؤساء البلدان » . ونادى وهو على ظهر ناقته

بأنه لا يحمل في مكة سلاح ، ولا تبرج امرأة بزينة ، وتوعد من يفعل غير ذلك بالعقاب . وأقام هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلها في الاسواق وقت الصلاة للحض على ادايتها .

ولا يزال هذا النظام سارياً ومتبعاً في البلاد السعودية ، وما يزالون يحافظون عليه .

وحج في السنة التالية ، اي في سنة ١٢٢٦ .

غزو اليمن وتهامة

تقع اليمن جنوبي شرقي نجد ، وليس بينهما حدود مشتركة ، وتفصل بينهما مقاطعة نجران من جهة الشرق ، وعسير من جهة الجنوب .
ودخل عربان وادي الدوامر ، والسراة ، ووادي بيته في الدعوة ففتح ذلك أمامها ابواب عسير وتهامة واليمن .

ولقد أشرنا من قبل الى وصول محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب الى الدرعية سنة ١٢١٥ (انظر ص ٧٢) ، وقلنا ان الامام عبد العزيز ولى الاول امارة عسير السراة ، فكان ذلك بدء اشتهار عسير كمقاطعة ذات كيان سيامي مستقل .
وتوفي محمد بن عامر بعد قليل ، فحل أخاه محله بعدما اشترط عليه الامام محاربة الشريف حمود صاحب « ابو عرايش » (احمدى مدن الخلف السلياني من تهامة) ، فقام بالامر واستولى عليها وأدخل صاحبها في الطاعة ، وقاتل مع السعوديين في معارك الحجاز سنة ١٢١٨ .

وضمّت الدرعية «الخلف السلياني» الى عبد الوهاب بعد افتتاحه ، ولكن أمر ذلك لم يطل ، فقد توصل الشريف حمود وابن عمه منصور امير صيا الى انشاء صلة مباشرة بالدرعية .

وسقط عبد الوهاب قتيلاً سنة ١٢٢٥ في المعركة التي دارت بينه وبين الشريف حمود في وادي بيته عندما نقض هذا بيعة السعوديين ، فاختار الامام

سعود طامي بن شعيب خلفاً له ، واشترك هذا في قتال الحملة المصرية مع السعوديين وظل يقف في الميدان مع قومه حتى سنة ١٢٣٠ ، اي حتى سيطرة المصريين على عسير .

غزو نجران

يقول ابن بشر وهو يسجل حوادث سنة ١٢٢٠ ، ان الامام سعوداً اصدر امرآ الى عبد الوهاب امير عسير ، وفهد بن شڪبان امير بيشة ، واهل وادي الدواصر ، بأن يغزوا نجران (وهي اليوم من املاك الدولة السعودية) ، فسارت الحملة وقاتلتهم وضيق عليهم ، ثم أقامت حصناً وضعت فيه حامية لمضايقتهم .

الحديدة وبيت الفقيه

وبايع ابن صالح رئيس ثغر الحديدة وبيت الفقيه الامام سعوداً سنة ١٩٢٥ على السمع والطاعة ، فساء ذلك امام اليمن فأرسل قوة حاصرت الحديدة واستولت عليها .

وصدرت الاوامر من الدرعية الى طامي بن شعيب امير عسير ، بأن يواصل الزحف في تهامة ، فحاصر الاحية واستولى عليها ، ثم قصد الحديدة فاستولى عليها ايضاً بالقوة وضمها الى الدولة السعودية .

غزو الشام

غزت نجد بلاد الشام مرتين في تلك المرحلة :

الاولى : سنة ١٢١٢ ، وكانت ضيقة ومحدودة .

الثانية : سنة ١٢٢٥ ، قادها الامام سعود بالذات وكانت اوسع نطاقاً ،

وصل في نهايتها الى ابواب دمشق بعدما دوح حوران .

ولا يوجد فيما لدينا من روايات مؤرخي نجد الذين عاشوا في ذلك العهد ،

ما يبيط اللثام عن الاسباب الحقيقية التي دعت الى اعداد هذه الحملة او يساعد على

تفسير ما حدث . على ان ابن بشر ذكر وهو يسجل اخبار سنة ١٢١٢ ، ان

حجيلان بن حمد امير القصيم أغار على بوادي الشرارات ^(١) من ارض الشام

فانهزموا وقتل منهم نحو ١٢٠ قتيلاً، وأخذ من الابل خمسة آلاف بعير وأغنماً

كثيرة .

وأما الغزوة الثانية فهي أجل وأعظم ، قادها الامام بنفسه كما تقدم ، وحشد

لها قوات كبيرة بدأت يوم ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٢٥ ، ويقول ابن بشر وهو

يروي تفاصيلها ، ان اخباراً وصلت الى الدرعية بأن عربان الشام من عنيزة ،

وبني صخر وغيرهم تجمعوا في نقرة الشام ، فذهب لمنازلتهم ولما وصل لم يجد

(١) «الشرارات» قبيلة عربية تنزل في وادي السرحان شرقي الشام من ناحية نجد ، وهو اليوم

من أعمال الدولة السعودية ، ولا تزال هذه القبيلة في منازلها القديمة .

أحداً ، وإنما عرف انهم اجتمعوا على دوخي بن سمير رئيس ولد علي ضني مفرج من عنيزة ، وانهم ينزلون بجوار جبل الشيخ (جبل حرمون ويقع في منطقة الجولان من حوران ، وهو اليوم مقسوم مناصفة بين سورية ولبنان فأقسامه الشرقية الشمالية لسورية ، والاخرى للبنان) .

ووصلت الحملة الى المزيريب (مكانها معروف اليوم وهي بجوار مدينة درعا عاصمة حوران الادارية) فاستبكت مع الحامية التي كانت ترابط في الحصن القائم بجوارها وهزمتها .

وواصلت الحملة السير الى بصرى ، ففضت الليل فيها ، ثم عادت الى نجد بعدما نشرت الرعب في بلاد الشام .

معارك الخليج

تجاور جزر البحرين مقاطعة الحسا بجزراً ، كما تناوح ثغور الدمام ورأس تنورة والعقير من ثغور نجد ، وقد كانت من الطبيعي بعد ان طفت موجة الفتوحات ووصلت الى البحر الاحمر غرباً ، والى اليمن جنوباً ، والى الشام شمالاً ، ان تصل الى البحرين وعمان شرقاً ، وتنتظم مقاطعات الخليج الاخرى وهي وثيقة الصلة بنجد ، وبين سكانها عدد كبير من ابناءها .

لقد بدأ تدخل الدرعية في شؤون الخليج منذ سنة ١٢١٦ ، حينما أغار سلطان مسقط (سلطان بن احمد) على جزر البحرين ، فاستولى عليها وطرد آل خليفة حكامها ، فجاءوا الى الدرعية مستجيرين ومستغيثين فأمدم الامير عبد العزيز بجيش سار معهم الى البحرين فطردوا المحتلين وعادوا الى الحكم ، ولكن تحت الحماية السعودية .

ووصلت اخبار الى الدرعية بأن آل خليفة يأتون مخالقات ، فأرسل الامام سعود جيشاً بقيادة خادمه محمد بن معقل ، ثم عززه بأخر بقيادة عبدالله بن عفيصان ، فوضعا اليد على الجزر ورابطا فيها .

وأصدر الامام سعود سنة ١٢٢٥ أمراً الى قائد جيشه بأن يرسل آل خليفة الى الدرعية ، فأرسلوا مكروهين وعلى رأسهم شيخهم سليمان بن احمد بن خليفة وأخوه عبدالله وأبناؤهم وبعض اعوانهم ورجالهم ، فاستقبلهم وذكر لهم ما فعلوه وارتكبوه ، ثم أمر باعتقال الرؤساء واعادة الآخرين الى بلادهم ، وعين فهد بن عفيصان قائداً على البحرين وأميناً على بيت المال .

ونقل آل خليفة الذين ظلوا في البحرين ، أموالهم وأمتعتهم الى السفن وساروا الى مسقط ونزلوا لاجئين على سلطانها واستنفروه ، كما استنفروا ايران جارة الخليج ، وقبائل العتوب .

واستنجد سلطان مسقط بالاسطول البريطاني ، فوصلت بعض سفنه وعليها عدد كبير من المقاتلة الى « الزيارة » ، فنزلت فيها ونهبت كل ما وجدته ، ثم اتجهت الى المنامة (عاصمة الجزر) وفيها فهد بن عفيصان والحامية السعودية وعددها ٣٠٠ جندياً ، فحاصرتهم اياماً ثم اخرجوا بالامان ما عدا ١٦ رجلاً ومنهم الامير ، فقد احتفظوا بهم رهائن مقابل رجالهم المعتقلين في الدرعية .

وتقدم من كان في الدرعية من آل خليفة الى سعود طالين اطلاق سراحهم لكي يذهبوا الى اخوانهم في الزيارة فيجتمعون اليهم ويدعونهم الى الدخول في الطاعة كما دخلواهم ، فان قبلوا انتهت المشكلة ، وان أبوا عادوا الى الدرعية كما كانوا ، فوافق وارسل معهم بعض رجاله .

ولم تقترب المباحثات التي دارت بين الفريقين بنتيجة ، فعاد الذين كانوا في الدرعية اليها وعاد معهم ابن عفيصان والذين كانوا معه .

وظل آل خليفة في الدرعية حتى اوائل سنة ١٢٢٦ ، فأطلق الامام سراحهم بعد ان بايعوه على السمع والطاعة .

ووقع نزاع بعد وصولهم بين ابنائهم وعشائهم وبين القوات النجدية التي كانت ترابط في المنطقة تحول الى معركة كبيرة نشبت في البحر بجوار الجزر ، ففرق عدد من سفن الفريقين وقتل كثيرون كان من جملتهم دعيج بن الصباح من آل

الصباح في الكويت وكان يقاتل مع آل خليفة، كما قتل راشد بن خليفة وغيره.
ووصلت بعد ذلك الحملة المصرية الى الحجاز ، فشغلت بها الدرعية عن كل
ما سواها .

اخضاع عمان ومسقط

وأرسل الامام سعود سنة ١٢٢٣ سرية الى عمان لتعليم سكانها اصول الدين
ولاستطلاع احوالهم ، فقاومهم امامها قيس بن عزان بالاتفاق مع سعيد بن
سلطان (صاحب مسقط) فتدخل سلطان بن صقر بن راشد صاحب رأس الحيمة
وزعيم القواسم وهو من الذين دخلوا في الدعوة ، فدارت معركة عنيفة انتهت
 بانتصار هؤلاء ، فأرسل ابن قيس بعد مقتل والده ، الى سلطان بن صقر طالباً
المبايعة على السمع والطاعة . ثم جاء سلطان بن سعيد صاحب مسقط الى الدرعية
وبايع على السمع والطاعة ، فدخلت عمان ومسقط في نطاق الدولة السعودية .

والظاهر ان سلطان بن سعيد ندم على خضوعه ، فاستجد كما يقول ابن بشر
بجلفائه الانكليز واستعداهم على رأس الحيمة ، فأرسلوا سفنهم فضربتها بالقنابل
فأشعلت في بيوتها النيران وأكثرها من سعف النخل ، ثم نزل جنودهم الى البلدة
فنهبوا وأشعروا فيها النيران ودمروها ، وفر السكّان الى الخارج حتى انتهت
الغارة وأبجر الانكليز ، فعادوا الى مدينتهم .

وأصدر سعود امرأ الى عبدالله بن مزروع امير منفوحة ، بأن يسير مع
رجالهم ورجال من نجد الى عمان وينزلوا في قصره في البوريي^(١) وهو معروف
هنالك ، كما اصدر امرأ الى مطلق المطيري بأن يسير مع عشيرته الى عمان وينضم
الى المزروع ويتعاون معه .

ووصلت الحملة المصرية بعد قليل الى الحجاز ، فاضطر النجديون الى الانسحاب
لمنازلة القوة المتدفقة من الغرب والتخلي عن الخليج ، ولكن مؤقتاً .

(١) هو قاعدة واحة البوريي التي اشتد الخلاف عليها سنة ١٩٥٥ بين الحكومة السعودية
وانكلترا ، كما سيأتي .

الدعوة وحملة نابوليون على مصر

وبينما كانت جيوش الدعوة وقواتها تحاصر مكة وتدخلها وتوغل متقدمة على شواطئ البحر الاحمر الغربية مندفعة نحو سواحل اليمن ، بعد ان سيطرت على تهامة ، كانت احداث خطيرة اخرى تحدث على الضفة الاخرى من البحر الاحمر ، وعلى سواحل البحر المتوسط ايضاً ، فقد وصلت الى الاسكندرية يوم ١٣ محرم سنة ١٢١٦ (٢٨ يوليو سنة ١٧٩٨) حملة الجنرال نابوليون بوناپرت الفرنسي ، تبغي الاستيلاء على مصر واتخاذها قاعدة لأمبراطورية استعمارية كبرى ، كانت فرنسا تحلم باناشائها .

وهزّ وصول هذه الحملة شرقنا العربي ، هزة عنيفة ، وكانت اول حملة غربية تجوس خلال دياره بعد الحملات الصليبية في القرون الوسطى . وكانت الغاية التي حفزت الفرنسيين الى المجيء هذه المرة ، هي نفس الغاية التي حفزت الصليبيين فكلتاها كانتا تشدان الاستيلاء على الشرق الاسلامي وانشاء حكم اجنبي دخيل في ربوعه .

ويقول المؤرخون الفرنسيون ان نابوليون ارسل بعد وصوله الى القاهرة بعثة الى الامام سعود بغية انشاء اتصال بينهما فيتعاونان في حرب الدولة العثمانية ، ولم نجد فيما كتبه مؤرخو نجد ما يدل على قيام اي تعاون ، على ان ابن بشر اورد في حوادث سنة ١٢١٢ خبر وصول الفرنسيين من الافرنج الى مصر . ثم مرد كثيراً من التفاصيل عن الحملة ، فيها القث والسمين ، وختمها بقوله :

« انه نقل أخبار اخذ الفرنسيين لمصر ، من اوراق وجدت في الطائف حين فتحها عثمان المضايفي ، فزقلها باختصار ، والله سبحانه وتعالى أعلم . »

وأقلق وصول الحملة حكومة الاستانة وأزعجها وأطار النوم من عيونها ، فتخلت عن جميع مشاكلها ، وعكفت على معالجة الازمة التي أثارها وصولها ، وعلى ابتكار الاسباب للخلاص منها خوف مضاعفاتنا ، وما قد تحدثه من اختلاطات لا تؤمن مغبتها .

الدعوة والحملة

وهياً وصول الحملة ، وما كان متوقماً ولا منتظراً ، فرصة طيبة للدعوة فاستولت على عير سنة ١٢١٥ ، ثم دخلت مكة سنة ١٢١٨ ، والمدينة سنة ١٢٢٠ ، واكتسحت حدود العراق واتجهت نحو الشمال ونحو الجنوب ونحو الغرب والشرق ، لا تخشى مقاومة ولا تحسب حساباً ، بسبب انهاك عدوتها الكبرى (حكومة الاستانة) في حربها مع الحملة الفرنسية ، فقد انغمست فيها الى الاذقان ، وحشدت لها كل ما كان لديها من امكانيات فلم تجن سوى الفشل وزيادة الخذلان ، ذلك ان مرض الشيخوخة ، وكان ينخر في جسمها ، هد قواها وجعلها عاجزة عن كل عمل ايجابي .

الانكلاز والحملة

كانت هناك حرب عوان ، متقدة اللظى ، مشوبة الاوار ، تدور رحاها في اوروبا بين الانكلاز والفرنسيين ، ولا يفصل بينها سوى مضيق صغير لا تزيد سعته عن ٢١ ميلاً وهو بحر المانش ، وكان كل منها يسعى للايقاع بدموه والغرز عليه .

وجاء نبأ حملة نابوليون الى الانكلاز ، لا من يوم بلوغها ساحل مصر ، بل من يوم ابحارها من الشاطيء الفرنسي ، فأرسلوا اسطولهم وراءها يجوب البحار

بجئاً عنها ، ليوقع بها قبل وصولها الى الاسكندرية ، ونشاء الاقدار ان تنجو من قبضته فتصل الى بغيتها وتستولي على القاهرة ، ويواصل بعض عناصرها الزحف الى فلسطين لبلوغ الهند بطريق الخليج وطعنهم في اكثر مقاتلهم مفعولاً وتأثيراً .

ويعود الاسطول الانكليزي ثانية الى الساحل المصري ، فيأخذ الاسطول الفرنسي الذي جاء مع الحملة لحمايتها على حين غرة ، يدمره تدميراً ، فكان ذلك بشيراً يبشر بفشل الحملة التي صارت معزولة عن قاعدتها الكبرى (فرنسا) .

ولم يقف الانكليز عند حد تدمير الاسطول الفرنسي وعزل الحملة عن قاعدتها ، بل أرسلوا جيشاً من الهند نزل في عيذاب (ثغر مصري على البحر الاحمر) ، وآخر من انكلترا نزل في الاسكندرية وتعاونوا مع القوى العسكرية العثمانية التي وصلت الى مصر ، وما زالوا بالحملة حتى أجلوها عن مصر نهائياً بموجب اتفاق عقد يوم ٢٣ يونيو سنة ١٨٠١ ، فانهى امرها وطوي بساطها وعادت تجر اذيال الحية والفشل .

الاصتدام المصري لجسيرة العرب

بدأ النضال في القاهرة بعد جلاء الفرنسيين بين ثلاث قوى ، كانت تتنافس للفوز بالسيطرة على مصر ، وهي :

١ - الانكليز، وكانت لهم قوى برية وبحرية داخل القطر وفي بعض ثغوره وهم الذين ساهموا في طرد الفرنسيين الى حد كبير . وكانوا يطمعون في الحلول محلهم واملاء الفراغ الذي أحدثه خروجهم ، نمت عن ذلك حركاتهم وتصرفاتهم وان تكتسوا ولم يعلنوا ويذيعوا .

٢ - الاتراك ، وكانت لهم قوات برية وبحرية في داخل القطر وفي ثغوره ، وكانوا اصحاب السيادة عليه . وكان يمثلهم يومئذ في القاهرة الصدر الاعظم (كان هذا اللقب خاصاً بكل من يتولى رئاسة الحكومة في تركيا) وكان اسمه يوسف ضيا باشا .

٣ - المماليك ، حكام مصر القدماء ، قبل الحملة الفرنسية ، وقد عادوا للظهور بعدها يعملون لاسترداد الحكم .

وأمرت حكومة فرنسا ، عقب طرد قواها من مصر ، فمدت يدها الى حكومة الاساتنة فصالحها وانضمت اليها في مطابفة الانكليز بالجلء عن القطر فلا يحلوا محلها ولا يرثوها .

واتفق الانكليز سرأ مع المالك على التعاون ضد الترك ، فيؤيدونهم ويعاضدونهم في نقل الحكم اليهم ، مقابل فوائد وعدوم بها . على ان المعركة انتهت بعد سنتين فجلا الانكليز سنة ١٨٠٣ ، فخلا الميدان للترك وكانوا مصميين على الخلاص من المالك والقضاء عليهم ، فيطروا على القطر وارسلوا احد باشاواتهم ليستلمهم فيه ويرأس حكومته .

ظهور محمد علي الاباني

كان محمد علي الاباني ، جندياً متطوعاً في الفصيلة الابانية التي ارسلتها الحكومة العثمانية ضمن حملتها الى مصر للاشتراك في طرد الفرنسيين . وبلغ الاسكندرية يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٠١ مع الحملة ، وانتقل بعد ان أمضى مدة في خدمة الجيش ، الى وظائف الامن العام وتدرج في مناصبه حتى صار في سنة ١٨٠٥ قائداً لقوى الامن في القاهرة ، مما سبل له سبل الاتصال بقيادة الحركة الوطنية المصرية الجديدة ، الذين ظهروا في ابان الاحتلال الفرنسي ، وصارت لهم كلمة نافذة بين طوائف الشعب وعناصره وكانوا كارهين للمالك ، راغبين في الخلاص منهم .

في طريق الحملة الى الحجاز

وعينت حكومة الاساتنة سنة ١٨٠٥ (١٢٢٠ هـ) محافظاً جدة ، وكانت لا تزال بيد الترك ، وكانت لهم بارجة ترابط في البحر أمامها وتحميها ، وكان قد وصل الى رتبة الباشوية ، وأمرته بأن يلحق على الفور بمقر عمله الجديد ، وكانت هذه اول حركة تتحركها للعودة الى الحجاز . وكانت الاوامر الصادرة

اليه تقضي بسفره حالاً ، ولكن كيف يسافر وهو طامع بولاية مصر ، وكان الحصول عليها ، والفوز بها كل ما يشغله ، ويسمى لادراكه .

وأخيراً ، وبعد طويل أخذ ورد ، وافقت حكومة الستانة يوم ٦ آب (أغسطس) سنة ١٨٠٦ على تعيينه والياً لمصر وأطلقت يده فيها . وقد لا يبعد انه وعدها ، قبل تعيينه ، بأن يعيد اليها بلاد العرب ، فقد كان حوَّلاً قلباً ، ووصولياً ماهراً ، يؤيد ذلك انه ما كاد يستقر به المقام حتى تلقى الامر من الستانة ، بأن يعد حملة يرسلها الى الحجاز (سنة ١٨٠٧) ، فاعتذر بعدم وجود الاستقرار في البلاد وبعداوة الممالك لحكومته وترتبهم بها الدوائر ، ولذلك فلا يستطيع ارسال قواه الى الخارج لثلاثين يوماً عليه .

وأهله سنة واحدة ، ثم عادت فألحت عليه بارسال الحملة التي وعد بها ، فعاد الى الاعتذار بعدم الاستقرار وبالحوف من وثبة يشبها الممالك عليه وعلى حكومته فيودون بها .

وعادت فجددت التكليف في السنة الثالثة ، مقرونًا بالمزيد من الالحاح ، فكرر الاعتذار وقال ان النضال لا يزال دائراً بينه وبين خصومه ، وانه لا يستطيع ترك البلاد بدون حامية قوية تحميها .

وتكرر التكليف ايضاً ، وتكرر الاعتذار . على ان حكومة الستانة أبلغته سنة ١٢٢٥ بأنها لن تقبل له عذراً ، وانها لن تجد سواه لهذه المهمة يستطيع النهوض بها . والواقع ان الثقة كادت تكون مفقودة بين الفريقين ، وربما كانت تريد التخلص منه بعد ان ماطلها هذه الماطلة ، بانتدابه لهذه المهمة الصعبة ، المفعمة بالاطخار ، فاذا خاب او فشل ، تستبدله بأحد رجالها وتكون صفقتها الراجحة .

مذبحة الممالك

ولما كانت قوة الممالك تخيفه وترعبه ، فقد رسم في ذهنه خطة تقوم على التخلص منهم وابدانهم قبل سفر الحملة ، فیرتاح منهم نهائياً والى الابد .

لقد بدأ فأعلن في القاهرة في أوائل سنة ١٢٢٦ ، انه أعد حملة عسكرية لارسالها الى الحجاز ، وانه عين نجله احمد طوسون قائداً لها ، وانه سيقم حفلاً كبيراً في القلعة لالباسه حلة القيادة ، ثم وزع رقايع الدعوة لهذه الحفلة وكانت اسماء جماعة الممالك في المقدمة . ولما كانت الصلات بينه وبينهم على غير ما يرام فكان يخشاهم وكانوا يخشونه ، فقد ارسل الى شاهين بك وكانت الزعامة قد انتهت اليه ، من يقنعه بقبول الدعوة وحضور الحفلة ويقول له انهم باستجابتهم له يثبتون رغبتهم بالتعاون معه ويزيلون ما هنالك من جفاء ويفتحون للصدقة باباً واسعاً . وقد انطلت الحيلة عليهم ووقعوا في الشرك الذي نصب لاصطيادهم اذ أعد كميناً في داخل القلعة من رجاله الالبانيين الذين جاءوا معه وكانوا عدته وكان يعتمد عليهم ، وأقامه على قدم الاستعداد وهياه للعمل عند اول اشارة .

ووصل شاهين بك في الوقت المعين الى القلعة ومعه ٤٧٠ من رجاله في اجمل لباس ، لأنهم اعتبروا الدعوة دليلاً على الرغبة بمصافاتهم واعادتهم الى الحكم ، وهذا كل ما يطلبونه ويمنون النفس ببلوغه .

وبدأت الحفلة وتلي مرسوم التعيين وصدر الامر بأن يتحرك الموكب الى « القبعة » حيث مقر قيادة طوسون ، وكان معنى صدوره اغلاق باب القلعة والشروع بذبح الممالك وابدانهم عن بكرة ابيهم .

ونفذت الخطة باحكام ، فقد أيدوا جميعاً ما عدا واحداً منهم اسمه امين آغا اسرع فقفز بجواده وهو على ظهره من اعلى القلعة فوصل سالماً الى الارض ، فواصل السير وصر على ظهره الى بلاد الشام .

لقد كانت مذبحه مريعه ، تمثل فيها جميع عناصر اللؤم والحيانة والغدر ، اهتزت لها القاهرة جزعاً وحزنناً على شهدائها الذين جاءوا للتصافي فوجدوا الموت الزؤام ووجدوا الحيانة مجسمة في شخص ذلك الالباني المجرد من كل عاطفة انسانية ، ولا نظن ان التاريخ العربي عرف لها مثيلاً في الفظاعة ، فاغتتيال ٤٦٩ شخصاً في دقائق معدودات ، لم يحنوا ذنباً ، ولم يرتكبوا اثماً ، بل لمجرد خوف موهوم منهم ، يعد من افظع الجنايات والحياتات وسيظل اثم ما جرى ووزره لاحقاً بمرتكبه حتى يوم الدين .

وواصل اعداد الحملة على اشلاء ضحاياه ، وبعد ان ملأ جو القطر رعباً ، وبعد ان نشر الهول جميع مناطقه واقاليبه ، فقد وثب ولاته ومملوه في نفس الرقت الذي كانت تنفذ فيه مذبحه القلعة ففتكوا ، بأوامره وتعليقاته ، بجميع من كان لديهم من المماليك ، اي انه لم يبق منهم ديناراً ولا ناخن نار .

المعارك الأولى

في أواسط شهر رمضان سنة ١٢٢٦ تحركت الحملة المصرية الاولى الى الحجاز وكانت تتألف من ٦٠٠٠ مشاة و ٢٠٠٠ خيال مع مدفعية قوية ومعدات كثيرة. وامتطى المشاة والمدفعيون سفناً شراعية أعدت لنقل الحملة من السويس الى ينبع .

وسار قائد الحملة احمد طوسون بن محمد علي ، على رأس الحيلة برأ ، وكان في السابعة عشرة من العمر .
وفي شهر شوال سنة ١٢٢٦ وصلت الى ينبع .

ولقد اختاروا هذا النغر بالذات لأنه اقرب ثغور الحجاز الى المدينة ، ولأن طريق المدينة اقرب الطرق الى الرياض قاعدة السعوديين الكبرى ، ومركز تموينهم ، ومصدر قوتهم ، فكأنهم أرادوا ان يضربوا الحركة في قلبها مباشرة فاختاروا اقرب الطرق المؤدية اليه .

ولم تخف هذه الحقيقة عن السعوديين ، وكانت اخبار الحملة تصلهم بدون انقطاع ، وما كان اعدادها وسفرها بسر ، وكانت الحطة التي رسمتها القيادة السعودية للقاءها ومقاومتها ، تدور في هذا الاطار:

١ - السماح للحملة بالنزول في ينبع دون مقامة .

٢ - فتح الطريق امامها حتى بدر .

٣ - اقامة قوات صغيرة تقاومها مقاومة شكلية ، وتستدرجها حتى وادي الصفراء (يقع بين المدينة وينبع) حيث ترابط القوة السعودية الكبرى ، فتحيط بها ، وتقضي عليها .

ونفذت الخطة باحكام ودقة ، مأثورة عن النجديين في جميع خططهم ومشروعاتهم ، فقد وجدت الحملة ينبع خالية ، فنزلت فيها وقامت تعد معدات الزحف ، ولما أتمتها تقدمت نحو بدر تريد المدينة المنورة ، فصدتها طلائع السعوديين ، ثم استدرجتها حتى وادي الصفراء فأحاطت بها وأخذتها من كل جانب فوقع الفزع والاضطراب في صفوفها ، فتراجعت منهزمة الى ينبع تاركة مدافعها وعتادها ومعداتنا وكل ما كانت تحمله بين أيدي السعوديين ، عدا مئات القتلى يتوسدون الثرى .

وكان قائدها طوسون في عداد الناجين .

ونعى طوسون الحملة الى والده ، وألقى تبعة الفشل والاخفاق على قواده وقال انهم كانوا سبب الانكسار لاختلافهم وتنافسهم .
وعكف محمد علي يعد حملة جديدة يرسلها الى نجله الذي ظل في ينبع بانتظارها.

وصول الحملة الثانية وانهزامها

ووصلت الحملة الثانية في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧ ، اي بعد سنة من تمزيق الحملة الاولى ، فنزلت في ينبع نفسها وكانت تتألف من خمسة آلاف جندي ، وزحفت مع فلول الحملة القديمة تريد المدينة المنورة ، ففتحت القيادة السعودية لها الطريق ولم تشأ ان تصدها ، فدخلتها بعد مقاومة بسيطة ، ثم تقدمت الى الحناكية وتقع شرق المدينة الشمالي على طريق نجد وتبعد عنها ٩٠ ميلاً ، فنزلت فيها وأقامت الحنادق حولها .

الاستيلاء على جده ومكة

وعاد طوسون من المدينة الى قاعدته في ينبع بعد ما وطد مركزه في شمال الحجاز واستمال بعض قبائله باموال طائلة اغدقها على شيوخها ، والبديوي فقير يؤخذ بالمال غالباً ، فركب البحر الى جده فنزلها بدون مقاومة لانها كانت لا تزال بيد العثمانيين ، واستقبله فيها عند وصوله الشريف غالب بن مساعد شريف مكة ويمثل السعوديين فيها ، وقدم له الطاعة والولاء ومشى في موكبه الى مكة ، وكان السعوديون قد رحلوا عنها مقدماً طبقاً لحطة عسكرية رسموها .

خطة السعوديين الجديدة

لقد كانت الحطة العسكرية السعودية ، تقوم على الجلاء عن الحجاز مدناً وحواضر، وبادية ، والارتداد حتى حدود نجد الشرقية والمرابطة هنالك حيث الدفاع اسهل وايسر .

وكان معنى هذه الحطة استدراج الحملة الى الداخل ، الى الصحاري والوديان وابعادها عن مراكز تموينها وخطوط موصلاتها وتعريضها لجو نجد اللاهب وشمسه المحرقة فيسهل سحقها وتدميرها .

وطبقاً لهذه الحطة اعد السعوديون جيشين كبيرين لمنازلة الحملة :

١ - جيش الشرق بقيادة سعود الكبير وقد اتخذ « تربه » قاعدة له للقائها اذا جاءت بطريق الطائف .

٢ - جيش الشمال بقيادة نجده ، وقد رابط في منطقة الحناكية (منطقة المدينة) لمنازلة الحملة اذا جاءت من جهته .

ونجحت الحطة السعودية نجاحاً كبيراً ومزقت الحملة التي تقدمت بطريق

الطائف وفقدت كل ما كان معها من سلاح ومعدات .

وبيان ما وقع ، ان طوسون اعد قوة عسكرية كبيرة في الطائف ، ولى قيادتها احد ضباطه (مصطفى بك) فزحفت نحو ترابه وقبل ان تصل اليها هاجمها السعوديون فشتوها وغنموا كل ما كان معها ، فارتدت على جناح السرعة الى الطائف لا تلوي على شيء ، وكان مصير القوة الاخرى التي وصلت الى الحناكية نفس المصير ، فقد اطبق عليها السعوديون ومزقوها شذر مذر ، فارتدت فلولها الى المدينة تحدث عما حل بها .

وبما زاد في هول النكبة ، انتشار الامراض والأوبئة بين القوات المصرية التي كانت ترابط في المراكز الاخرى .

واصدر طوسون بعد هذه الهزائم تعليقات الى رجاله بتحسين المدينة والطائف انتظاراً لوصول النجيدات الجديدة التي ارسل الى والده يطلبها .

واكتفى السعوديون بالفوز الذي نالوه وبما تم لهم من تمزيق الحملة ، ولم يتقدموا لاحتلال المدينة لأنهم كانوا يؤمنون بأنه لا بد لمحمد علي من استئناف الكرة وارسال نجيدات اخرى بسبب كثرة موارده ، وتعدد مصادره ، ووفرة الاموال لديه ، والمال كل شيء في الحروب .

الحملة الثالثة

كان لانتصار السعوديين على الحملتين الاولى والثانية وتمزيقهم لها وفوزهم بأسلحتها ومعداتهما ، صداه الحسن في نجد ، فاهتزت فرحاً وسروراً كما ارتفعت القوة المعنوية في صدور ابناءها ورجالها ، فقرروا الاستمرار في الحرب الدفاعية التي شنها عليهم محمد علي ظلماً وبغياً ، انتصاراً للترك ، وتأييداً للبدع والحرافات ، وهي مصدر كل ما نزل بالمسلمين من ضعف وذل وهوان .

ووصلت اخبار هذه الهزائم الى مصر ، فاحدثت ذعراً واضطراباً وقلقاً

وزلزلت نفوذ محمد علي وأفرحت خصومه واعدائه، فاندفع في تأليف حملة جديدة (الحملة الثالثة) وقادها بالذات وجاء على رأسها الى جده فبلغها في سنة ١٢٢٨ (شهر اغسطس سنة ١٨١٣) وذهب على الفور الى مكة منادياً بأنه ينوي انهاء الحرب ، فلا تكون مصدر قلق واضطراب لحكومته .

وأصدر بعد شهرين من وصوله ، وبعد ان درس الحالة عن كتب درساً وافياً ، أمراً باعتقال الشريف غالب بن مساعد (شريف مكة) لارتياحه في اخلاصه مع ما كان يبذله في خدمة جيشه ، وأرسله منفياً الى مصر ومنها أرسل الى سلانيك ومات فيها ، ولم يكتب باقصائه ونفيه ، بل نقل الامارة الى فرع آخر من فروع الاشراف ، فجعلها في آل عون واختار لها الشريف محمد عبد المعين بن عون ، جد الامرة المالكة في الاردن اليوم ، وفي العراق والحجاز سابقاً ، وكانت الشرافة من قبل في ذوي زيد بتوارثهم خلفاً عن سلف .

وفاة الامام سعود

ولحق الامام سعود بالملا الاعلى ، ليلة الاثنين ١١ جمادي الاول سنة ١٢٢٩ ، اثر مرض بالحصى ، فأطبق عينيه وكففت جيشه ما تزال راجحة ، وحالة بلاده وشعبه على خير ما يرام ، فمضى راضياً مرضياً بعدما كتب أنجد الصفحات في تاريخ الجهاد ، وحسبه ان عهده هو العهد الذهبي لدولة آل سعود الاولى .

سياسة فها هبية لبرام سمود

« لم نجد بين ما كتبه المؤرخون العرب والاجاب ، عن عهد الامام سمود ، من تكلم عن الصلات التي نشأت بينه وبين الانكليز في الخليج والهند والمكاتب التي تبودت بينها. ونقد عثرنا لحسن الحظ على مجموعة « الوثائق السرية » التي أعدتها حكومة الهند عن العلاقات والاتصالات التي نشأت بيننا وبين الأئمة السعوديين ، ونحن نقبس منها هنا ما يتصل بعهد هذا الامام الكبير » :

بلغت الدعوة شاطئ الخليج العربي في اندفاعها شرقاً ، في اواخر عهد الامام عبد العزيز ، فبسطة نفوذها عليه ، وأنشأت نظام حكم مستقر ثابت طبقاً لما نشرناه في متن هذا الكتاب .

وكان الانكليز يرقبون من دار معتمد في بندر بو شهر الايراني - وكانت لهم وكالة سياسية كبرى - سير الدعوة ، ويتابعون تطوراتها ، غير محاولين الاتصال بها ، باعتبارها حركة داخلية تحدث فيا وراء الساحل ، حيث لا مصالح لهم كما كانوا يقولون .

ووصل الانكليز سنة ١٧٩٨ الى مسقط ، وعقدوا مع صاحبها ، سلطان بن احمد معاهدة اعتراف وصدافة كانت اول ما يعقدونه مع دولة عربية، كما كانت الباب الذي دخلوا منه الى المنطقة ، فكان هذا الدخول شؤماً عليها وبلاء ، ولا يزال العمانيون منذ ١٦٥ سنة ، اي منذ عقدت تلك المعاهدة ، يقاومونها ويسعون للخلاص منها ، وهناك معارك تدور بينهم وبين الانكليز في هذه الايام ، ولولا تلك المعاهدة لعاشت عمان وعاش أهلها في احسن حال .

وتبدل موقف الانكليز في الهند من الدعوة ، بعد النجاح الباهر الذي أدركته في عهد الامام سعود، وعلى يده ، وبعد ان سيطرت على الضفة الغربية للخليج سيطرة كاملة مطلقة ، من البصرة حتى منتهى حدود عمان ومسقط الجنوبية ، وبعد ان ضمت اليها الحجاز وعسير وتهامة ، وصارت حدودها تمتد من الخليج شرقاً ، الى البحر الاحمر غرباً ، ومن مخاليف اليمن جنوباً الى مشارف الشام شمالاً ، فتقدموا اليها يخضبون ودها ، ويتقربون اليها ، ويعملون لاكتساب ثقتها ، يؤيد ذلك هذه التعليقات التي ارسلوها الى معتمد في بندر بوشهر للعمل بموجبها ، وهي :

تعليقات الانكليز الى مندوبهم في بوشهر

«يجب التزام جانب العنابة في اطلاع أمير الدرعية وجميع موظفي حكومته اطلاعاً تاماً على ان امنيتنا المخلصة هي ان نستمر في صدافة تامة معه ومع الدول الاخرى في بلاد العرب ، واننا لا ننشد سوى التجارة العامة في البحار ، لا سيما الخليج الفارسي . ولطالما تعرض لها القوامس دون مبرر وانتهاكوا حرمة تلك المعاهدة الايجابية التي عقدت مع زعيمهم في عام ١٨٠٦ .

د ان تأييدنا العادل لخليفتنا امام مسقط ، لا يمكن ان يسيء لأية دولة او

حكومة .

الامام محتج والمعتمد يرد

وجاء في هذه الوثائق ان مكاتبات دارت بين الامام سعود والمعتمد البريطاني في بوشهر حول ما اسمته بعمليات التأديب التي باثرتها السلطات البريطانية ضد قبيلة القواسم (انظر ص ٨٧)

ومع ان الامام اعرب عن رغبته في هذه المراسلات بالمحافظة على علاقات الود والوثام مع حكومة بريطانيا ، الا انه احتج على ما جرى مع القواسم . ورد المستر دنكان حاكم بباي بكتاب ارسله الى الامام يوم ٩ اغسطس سنة ١٨١٠ وهو :

« قابلت الحكومة البريطانية بالارتياح ما اعربتم عنه من رغبة في المحافظة على علاقات الود والوثام معها ، ولا يسعها الا ان تشارك باخلاص في هذه الرغبة التي سارت عليها سيراً مطرداً ، وعليه فانه لمن المناسب ان اؤكد لكم بأن الحملة التي ارسلت اخيراً الى الخليج الفارسي ، لم تنشأ عن عداوة نحوكم ، وانما كانت موجبة كما اشير اعلاه للقضاء على القرصان الذين قاموا منذ وقت طويل بغارات في بحار تلك المنطقة ساليين سفن جميع الدول وقاتلين رعاياهم بدون تميز . وقد انتهك القرصان بذلك انتهاكاً مباشراً حرمة اتفاقياتهم الاليجابية ، وتفاوضوا تفاضياً تاماً عن كل ما اظهر نحوهم من مراعاة ونسائل .

« انه لا دخل للحكومة البريطانية بشأن العمليات الحربية التي تقومون بها ضد الخارجين على الدين الاسلامي بسبب ما قيل عن ابتعادهم عن فرائض القرآن وسننه . ولن تستخدم الحكومة البريطانية قوتها إلا ضد اولئك الذين يعتبرون اعداء لجميع الدول من جراء ممارستهم مهنة القرصنة البغيضة .

« أما الآن ، وقد فتح طريق المراسلة بيننا ، فاني اكون مسروراً دوماً لأن اسمع عن رفاهيتكم وتوفيقكم ، .

الرد على احتجاج بريطاني

ورد الامام سعود في سنة ١٨١٠ على احتجاج بريطاني فذكر انه اصدر تعليمات الى رجاله بعدم التعرض للسفن البريطانية وعدم معاكستها .

دعوة للصلح والسلام في مسقط

ووجه سعيد بن سلطان صاحب مسقط في سنة ١٨١٠ نداءً الى حكومة الهند طالباً منها مساعدتها عسكرياً في حربه مع الوهابيين ، فلم ترد عليه ، فكرر النداء وأرفقه باحتجاج قال فيه : ان تعاونه مع الحكومة البريطانية في الفترة الاخيرة قد ورطه في حرب دائمة وعديمة الرحمة مع السعوديين ، وجعله يثق بان الحكومة البريطانية لن تقف موقف الحياد .

وردت عليه حكومة الهند رداً سلبياً كما جاء في الوثائق ، وهذا ما قالته له :

« ان الحكومة البريطانية كانت تعتبر نفسها دائماً بأنها في صلح وسلام مع الوهابيين ، وان تعاونها الاخير مع السلطان لم يكن يرمي الى متابعة الحرب ضدكم بصورة عامة ، وانما كان يهدف الى القضاء على القرصان . وعليه لم تعد الحكومة البريطانية مهتمة بعد الآن بالنزاع القائم بين سلطان مسقط وبينهم ، وان ما تم به فقط هو ان ينعم السلطان بالرخاء والرفاهية » .

نصيحة بريطانية للسلطان

ولم تقف حكومة الهند عند هذا الحد ، بل نصحت في كتاب لها السلطان بأن يسلم بالشروط التي يطلبها الوهابيون ، على اساس ان تحترم هذه الشروط شرف دولته وتضمن سلامتها .

حول انشاء علاقات دائمة

وارسل الامام سعود سنة ١٨١٣ مندوباً الى مسقط لكي يبلغ المندوب البريطاني رغبته في اقامة علاقات دائمة مع الحكومة البريطانية . . ورد حاكم يماني بكتاب ارسل الى مندوب الامام وهو :

« انه في الوقت الذي اضر فيه اصدق المودة نحو اميركم ، شأني في ذلك الآن ، شأني في الماضي ، رأيت لزاماً علي حتى قبل ان انسلم رسالتكم ، بأن اصدر التعليقات الى المستر « بروس » المعتمد البريطاني في بوشهر ، لكي يتصل بصاحب السمو سعود بن عبد العزيز ويؤسس معه علاقات ودية تعود بالنفع المشترك على البلدين ، وبالنفع العام على الدول المجاورة لهما . واني لاشعر بالارتياح بصفة خاصة لما لاحظته ، بأن سعادتكم صرحتم بأن صاحب السمو سعود بن عبد العزيز يشعر بمثل هذه الرغبة ، وعليه فاني اتطلع بثقة الى الامام نحو مرعة تحقيق رغباتنا المتبادلة » .

عدم الدخول في اي تعاقد

وارسل الامام في سنة ١٨١٣ ، أي في ابان الغزو المصري لجزيرة العرب مندوباً الى المعتمد السياسي في بوشهر ، يحمل رغبته في انشاء روابط صداقة ومودة متبادلة تعود على البلدين بالنفع فتفتح كل من الدولتين مرافئها وتغورها في وجه سفن الدولة الاخرى ، ويتاجر رعايا الدولتين تجارة حرة مطلقة لا تقف في سبيلها اي عراقيل او مضايقات .

وردت حكومة الهند بأنها ترى من الحكمة والصواب ان تحافظ على علاقات ودية مع الامام وبأن تحترم شعوره ولكنها لا ترى من المناسب في هذا الوقت الدخول في اي تعاقد ولو كان تجارياً .

الحاكم العام يهنئ ابراهيم باشا

ومع كل ما كان يتظاهر به الموظفون الانكليز من رغبة في مصادقة الحكومة السعودية ، وفي انشاء افضل العلاقات معها ، فان الحاكم البريطاني العام في الهند ، كتب الى ابراهيم باشا المصري عقب انتصاره ، مهتماً وهذا ما قاله :

« ان الهزيمة والانهار الكامل للدولة ما ، بعد ارتفاع سريع غير عادي الى درجة السمو ، وبما يدعو الى السرور ان تفردوا سعادتكم باخضاعها ، »^(١) .

وكانت تهينة هنري سولت القنصل البريطاني العام لمحمد علي باشا تدور في هذه الدائرة ان لم تكن جملها وتعابيرها اشد قسوة .

والامر الذي لا ريب فيه ، انهم ما كانوا ينظرون بارتياح الى قيام دولة عربية قوية على شاطئ الخليج تحول بينهم وبين السيطرة عليه ، ولذلك هللوا وفرحوا بخروج الدولة السعودية من الميدان . على ان فرحتهم لم تطل كثيراً ، فقد عادت بعد قليل اليه بعزيمة اقوى وهمة اشد .

بين الامام سعود وفرنسا

ونشأت في تلك المرحلة ايضاً علاقات مودة وصداقة بين الامام سعود وبين فرنسا . ويقول جان جاك بيروني في كتابه (جزيرة العرب) : « ان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل طالما اشار الى تبادل الرسائل بين جده ونابوليون الاول اثناء حنثه على مصر » .

« ويشير بيروني ايضا في كتابه عن ابن سعود الى بعثة افرنسية برئاسة

(١) سارلير - يوميات رحلة عبر جزيرة العرب

« لاسكاري » ارسلها نابوليون الى سعود عام ١٨٠١ . ويقول ايضاً « وبناء على طلب امبراطور الفرنسيين هاجم الوهابيون تركيا في منطقة بلاد ما بين النهرين^(١) ، ولكن فشل جيوش نابوليون واندحارها أدباً الى انهاء التحالف العربي - الفرنسي » .

اخبار أخرى عن الخليج

وعثرنا في هذه الوثائق ايضاً على اخبار اخرى عن الخليج في تلك المرحلة رأينا اثباتها لفائدتها ، وهي :

في سنة ١٧٨٣ طردت قبائل العتوب الفرس من جزر البحرين ، وكانت العتوب هؤلاء يستوطنون الزيارة في قطر .

وفي سنة ١٧٩٢ خضعت مقاطعة الحسا لنجد .

وفي سنة ١٨٠٠ اتجه السعوديون نحو عمان واحتلوا واحة البريمي .

وهذه الواحة نقطة استراتيجية هامة من الطراز الاول وتشرف على المعابر المؤدية الى مسقط .

وقبل سنة ١٨٠٢ اصبح الساحل كله من البصرة إلى « دبا » الواقعة على حدود مسقط ، خاضعاً خضوعاً اسمياً للوهابيين .

واضطر سلطان مسقط سنة ١٨٠٣ لعقد صلح معهم ، وتعهد بموجب هذا الصلح ان يدفع لهم اتاوة سنوية قدرها خمسة آلاف ريال ، وسمحت مسقط بموجب هذا الاتفاق لمثل سعودي ان يقيم في عاصمتها .

ووطدوا بين سنة ١٨٠٤ - ١٨١٤ نفوذهم في ساحل عمان المهادن وسددوا هجمات ضد سلطان مسقط .

وتوفي سعيد بن سلطان (سلطان مسقط) سنة ١٨٠٤ ، فآدت وفاته الى

(١) لم نجد فيما لدينا من وثائق ما يؤيد هذه الاسطورة .

ظهور منازعات عائلية اشترك فيها السعوديون اشتراكاً فعلياً ، وأيدوا بدر بن سيف الذي انتخب سلطاناً سنة ١٨٠٥ ، فظل في الحكم حتى سنة ١٨٠٧ حيث اغتاله سعيد بن سلطان ، وامتد حكم هذا حتى سنة ١٨٥٦ .

وشن الوهابيون في عهد هذا السلطان هجوماً ناجحاً من البريمي على مسقط سنة ١٨١٢ - ١٨١٣ ، واوغلوا في البلاد حتى وصلوا الى جنوبي شرقي مسقط عند صور وجعلان ، وحملوا قبيلة ابو علي في جعلان على الدخول في الدعوة .

وحرر سلطان مسقط البحرين سنة ١٨١١ من الحكم السعودي وهزمهم في قطر .

وكانت الكويت في عام ١٨٠٣ تحت اشراف الوهابيين ، كما كانت بقية السواحل تحت اشرافهم . وفي تلك السنة اشتركت الكويت معهم في الحملة على مسقط . وفي سنة ١٨٠٥ وصف شيخ الكويت نفسه بأنه من اتباع نجد . لكن الكويت بلغت سؤاً من القوة قبل سنة ١٨٠٨ بحيث اجمعت عن تلبية آخر دعوة وجهتها اليها نجد للمبادرة الى مساعدتها ، وقد ادى ذلك الى شن هجوم نجدي على الكويت سنة ١٨٠٩ فصدت الهجوم . وبقي شيخ الكويت من ذلك الحين وما بعده مستقل استقلالاً نسبياً عن النفوذ الوهابي .

عهد الامام عبد الله بن سعود

(١٢٢٩ - ١٢٣٣)

تختلف الظروف التي تسلم فيها الامام عبدالله بن سعود عرش الدولة ، عن تلك التي ارتقاه فيها والده وجده ، فقد ولي الامر وبلادته منغمسة في حرب طاحنة مع دولة قوية ، مضى على نشوبها نحو اربع سنوات ، ولا تزال تزداد شدة واستعلاءً . وبعد أن كانت في عهد والده تدور في داخل الحجاز ، انتقلت فحطت على ابواب نجد تدقها وتوشك ان تلجها كما أخضعت معظم الأجزاء الشرقية وبعض الجنوبية وعسير والحجاز معها .

مقابلة بين قوة نجد وقوة مصر

ولا بد لنا لنكون منصفين وعادلين في أحكامنا ، من اجراء مقارنة بين قوة نجد وقوة مصر اللتين كانتا تخوضان معركة لا نبالغ اذا قلنا ان التعادل ، بل شبه التعادل كان مفقوداً فيها ، سواء من جهة عدد السكان ، او الثروة ، او

التنظيم العسكري ، او المدفعية ، او الاتصال بالعالم الخارجي ، أو الوسائل الاخرى . فوجدت كانت تقاتل في معركة لا أمل فيها على الاطلاق ، لأنها كانت محرومة من اكثر الوسائل التي يحتاج اليها المحارب ، وهذه كثيرة ومتوفرة لدى عدوها .

ونبدأ فاقابل بين حالة البلدين :

١ - النسبة العددية للسكان

كان عدد سكان مصر في عهد محمد علي ، يتفاوت بين أربعة أو خمسة ملايين في حين ان سكان نجد ما كانوا ليلغوا نصف مليون على اكبر تقدير يرمثذ ، والفرق كبير بين الرقيين .

٢ - النسبة بالثروة

والنسبة بالثروة ، تكاد تكون معادلة لنسبة تعادل عدد السكان . فمصر قطر زراعي غني يعتمد في زراعته على نهر النيل الذي يشقه من جنوبه الى شماله ، فيسقي اراضيه ومزارعه ، ويروي حقوله وبساتينه ، ويدرك افوايق الثروة على ابنائه ، ويهبه الرخاء والاطمئنان ، ولا أثر لهذا كله في نجد ، فهي تعتمد على الامطار في زراعتها ، واذا جاءت في سنة فانها لا تأتي في التالية إلا نادراً ، مما يسبب المجاعة في بعض الاوقات .

والمال كل شيء في الحروب والثروة عمادها .

٣ - التنظيم العسكري

وكان هنالك فارق كبير في النظم العسكرية المتبعة في البلدين ، فقد أخذ محمد علي في تنظيم جيشه بالأساليب والأنماط التي كانت متبعة لدى الجيشين الانكليزي والفرنسي ، وقد رأهما في مصر عند وصوله اليها ، وحاز على كميات

كبيرة من أسلحتها ، يضاف الى ذلك انه استخدم في جيشه الذي أرسله الى الحجاز عدداً من الضباط الفرنسيين والايطاليين وبعض المهندسين الاجانب واستفاد من خبرتهم .

٤ - التفوق بالمدفعية

وكان التفوق في المدفعية ظاهراً ، وما كان لدى السعوديين منها محدوداً . وكان تفوقهم ظاهراً ايضاً في الاسلحة الاخرى .

٥ - خطوط المواصلات

وكانت خطوط مواصلات المصريين مع قاعدتهم الكبرى « القاهرة » مصنوعة ومضمونة ، فكانت النجديات والاسلحة والمعدات والاموال تتدفق عليهم دون انقطاع ، وما كان لدى النجديين شيء من ذلك ، وما كانوا يستوردون شيئاً ، وما كان هنالك اتصال بينهم وبين العالم الخارجي .

مميزات لأبناء نجد

وكانت لأبناء نجد ميزتان لا أثر لهما في جيش محمد علي ، وهما : الشجاعة والايمان .

لقد امتاز النجديون بالشجاعة والبسالة والاقدام ، وكانوا يقاتلون في سبيل غاية شريفة هي نشر كلمة التوحيد وإعلاء شأن الاسلام وتوحيد الافطار العربية وما كان لذلك أثر ولا وجود في جيش محمد علي . يضاف الى هذا أن النجدي كان يقاتل عن ارضه ووطنه ومسكنه وأهله ، أما خصمه فكان يقاتل في سبيل الطاغوت وفي سبيل المال ، وبعد ما بين الحالتين .

وفضلاً عن ذلك ، فقد حمل محمد علي مئات الالوف من الليرات الذهبية بذرها بذراً ، ونثرها نثرأ على قبائل الحجاز وشيوخها فانقادت اليه ، وقاتلت

الى جانبه ، وما كان لدى الفريق الآخر شيء من الذهب وما اعتاد شراء الناس
ولا إفساد ضمايرهم .

وجماع القول ، انه كان هنالك فرق كبير بين حالة البلدين من جميع
النواحي ، يجب ان يدخله في حسابه من يحاول درس هذه الحرب والاحاطة
بتطوراتها أو اصدار حكم عليها . ولا شك في ان حكمه سيكون لصالح النجديين
الذين أثبتوا في حروبهم مع المصريين انهم اكثر اهل الارض شجاعة واقداماً ،
وبدلاً وتضحية .

الحرب في تهامة وعسير

وأول معركة نشبت في عهد الامام عبدالله ، هي معركة «السراة» فقد أعد محمد علي من مقامه في مكة ، حملة زحفت من الطائف (شوال سنة ١٢٢٩) وتربة وجهتها ، ولما بلغت أودية قبيلة زهران في السراة ، حمل عليها طامي بن شعيب امير عسير ، فهزما .

ورأى محمد علي ، ان ينقل ميدان القتال الى تهامة وعسير ، وكاننا خاضعتين للدولة السعودية ، يحاول ان ينال نصراً في هذا الميدان بعد ان اعجزه نيله في الميدان الاصيل ، فأعد حملة أبحرت في شهر جمادي الآخرة سنة ١٢٢٩ من جدة الى نجر القنفذة وكان تابعاً للدولة السعودية ، الى جانب حملة بوية زحفت برأ .

وكان في القنفذة حامية من ابناء عسير تتألف من ٥٠٠ مقاتل استسلمت بدون قتال لأنها أخذت على غرة . ووصل النبا الى طامي بن شعيب وكان في طريقه الى مكة لمنازلة المصريين ، فبدل طريقه وذهب الى القنفذة يقود جيشاً كبيراً قالوا انه كان يتألف من ثمانية آلاف مقاتل .

واخذ هذا الجيش قوات مصر على حين غرة وقتك بها فتحكاً ذريعاً وغنم كل ما كان لديها من أسلحة ومعدات ، ونجا الذين ظلوا أحياء من رجالها بالتجاهم الى السفن التي جاؤا عليها فعادت بهم الى جدة .

وهكذا سجل المصريون فشلاً جديداً في هذا الميدان اضيف الى الفشل الذي حاق بمحملاتهم الاولى .

معركة بسل

واضطرب محمد علي لهذه الانكسارات المتوالية المتوالية بصاب بها جيشه ، ولهذه الهزائم المتتابعة تنزل بالحملات التي يوجهها ، فأرسل الى نائبه في القاهرة ، يأمره بارسال نجدات قوية مع كمية كبيرة من الذهب ، فقد جرى منذ بلوغه الحجاز ، وكانت هذه نفس طريقة نجده طوسون ، على توزيع المال والهدايا بكثرة على شيوخ القبائل في الحجاز وعسير لكي تنفض من حول السعوديين وتنضم اليه ، وقد استعان ببعض السامرة والعملاء فأدرك نجاحاً يفوق ما ادركه في ميادين القتال .

وقدرت النجدات التي وصلته من مصر بسبعة آلاف مقاتل مجهزة بكميات كبيرة من المدافع والاسلحة ضمها الى ما كان لديه من بقايا الحملات والى ما جمعه له شريف مكة الجديد محمد بن عبد المعين بن عون من رجال القبائل الحجازية والنجدية فأرسلها الى تربة باعتبارها الطريق الوحيد الى قلب نجد .

والتقى الجيشان في وادي (بسل) (١) ، في مستهل سنة ١٢٣٠ ، وكان الجيش السعودي بقيادة فيصل بن سعود شقيق الامام ، والجيش المصري بقيادة محمد علي نفسه ، واستمرت المعركة من الصباح الى المساء وانتهت بانتصار الجيش المصري واستيلائه على تربة ورنه وبيشه ، وكان هذا اول انتصار يناله منذ ابتداء الحرب . واقتنع محمد علي بهذا النصر وقفل على الأثر الى القاهرة ، بعد أن زال الخطر الذي كان يهدد جيشه وقواه وبعد ان فتح امامه الطريق الى قلب نجد .

(١) واد يقع على الطريق بين تربة والطائف وهو الى هذه أقرب .

العودة الى الميدان الشمالي الشرقي

وحلّ طوسون محل والده في قيادة الجيش بعد سفره ، وامرع فنقل قواه الى المدينة يريد دخول نجد من الباب الجنوبي ، باب القصيم ، لانه اقرب وايسر واسهل ، وبدأ فاستولى على الحناكية ومنها تقدم الى الرس ففتح الطريق الى الدرعية .

هدنة ٢٠ يوماً

وكتب الامام عبد الله بن سعود قبل مباشرة القتال في داخل اراضي نجد الى طوسون يقترح عليه ، حقناً للدماء ، عقد صلح يوفق بين المصلحتين ، فرد عليه بأنه لا بد له من استشارة والده ، ثم اتفقا مبدئياً على عقد هدنة مدتها ٢٠ يوماً يوقف خلالها القتال ، وتجري المفاوضات ابلوغ الاتفاق النهائي .

شروط طوسون للصلح

وعقد طوسون على اثر الهدنة مجلساً عسكرياً ضم قواد جيشه ورؤساء العشائر الموالية له ، فاتفقت الكلمة على عقد الصلح طبقاً للشروط الآتية :

- ١ - يحتل الجيش المصري الدرعية .
- ٢ - يرد النجديون كل ما اخذوه من النفائس من الحجره النبوية .

٣ - يكون عبد الله بن سعود تحت تصرف قيادة الجيش المصري فيساق الى اي جهة تريده على السفر اليها .

٤ - يضمن تأمين سبل الحج .

٥ - يكون خاضعاً لحاكم المدينة .

٦ - لا تكون معاهدة الصلح نافذة الا بعد عرضها على محمد علي واقراره لها .

وارسل طوسون هذه المقترحات الى عبد الله بن سعود في الدرعية ، كما ارسلها الى والده في القاهرة .

وأوفد عبد الله وفداً الى القاهرة لمفاوضة محمد علي مباشرة في الصلح ، قوامه حسن بن مزروع وعبد الله بن عون ، فأبى هذا الدخول في أي مفاوضات ، الا بعد قبول الشروط الآتية :

١ - الاستسلام بدون قيد ولا شرط .

٢ - تسلم الدرعية الى حاكم المدينة .

٣ - رد النفائس المأخوذة .

٤ - يأتي عبد الله بن سعود بنفسه الى القاهرة ليُرسل الى الاستانة فيفصل السلطان في أمره ويقرر مصيره .

وكان رد الامام بأنه ليس في استطاعته اعادة النفائس لأنها ليست في حوزته ، كما أنه رفض السفر الى الاستانة ووافق على ان يقيه محمد علي مندوباً عنه في الدرعية ليقبض الخراج .

وهكذا لم يبق بد من مواصلة القتال والرجوع اليه ، فما كان في مقدور الامام أو سواه قبول مثل تلك الشروط القاسية في ذلك الظرف .

ابراهيم بدل طوسون

وعباً محمد علي ، ومفاوضات الصلح مستمرة ، حملة عسكرية قوية ، الامر الذي دل على سوء نيته ، وعلى أنه ما كان راغباً في الصلح والرفاق ، ارسلها الى الحجاز ، وأوفد ابراهيم^(١) نجل زوجته ليتولى القيادة العليا وهو اذكى من طوسون وأعتى ، فعادر القاهرة في شهر شوال سنة ١٢٣١ الى الحجاز ومعه ضابط افرنسي من ضباط هيئة اركان الحرب ، وطبيب وجراحان ، وصيدلي ، والاربعة ابطالون . ومن المتفق عليه انه كان في الحملات التي ارسلها محمد علي الى الحجاز عدد كبير من الاجانب الذين لا يجوز دخولهم الى الاماكن المقدسة ، كما ان بين الجنود الذين ارسلهم كثيرون من حثالات البشر وأوباشهم وقد تركوا آثاراً سيئة ، وخلفوا كثيراً من الامراض والعلل ما كانت تلك البلاد تعرفها من قبل .

الصلح مع اهل الرس

واتخذ ابراهيم « الصويدة » (شمال المدينة الشرقي) قاعدة له ، ثم مشى بعد ستة اشهر قضاها في استمالة العربات وبذل الاموال لهم ولشيوخهم الى الحناكية فالرس ، وكان السعوديون قد عادوا الى الاخيرة بعد انسحاب

(١) يرى معظم المؤرخين الغربيين الذين دونوا سيرة محمد علي ، ان ابراهيم هذا ليس ولده من صلبه ، وانما هو نجل زوجته من زوجها الأول الذي مات عنه . ثم تزوجها محمد علي لثرائها ، اذ كان فقيراً معدماً ، ولما انتقل الى مصر استحضرها معها ولداها فألحقه بنسبه ، لما كان عليه من الذكاء والنجابة :

وما يستحق الذكر ان جميع الذين تعاقبوا على حكم مصر كانوا من سلالة ابراهيم هذا ، باستثناء عباس بن طوسون وسعيد بن محمد علي نفسه ، فاسماعيل وذريته م الذين حكموا وم علي التوالي : ابراهيم وابنه اسماعيل ، وتوفيق ابن اسماعيل ، وعباس بن توفيق ، وحسين كامل بن اسماعيل ، ومثله فؤاد . وفاروق بن فؤاد .

طوسون وسفره الى مصر وحصنوها ، فضرها بمدافعه القوية وهاجها بجنوده فثبتت ودافعت دفاع الابطال - وقدرت خسارة الجيش المصري في معارك الرس هذه بثلاثة آلاف واربعماية قتيل . وجنح ابراهيم الى الصلح بعد ما عجز وجيشه عن اقتحامها رغم هجماته المتواصلات وقد استمرت ثلاثة اشهر ونصف ، فدارت مفاوضات بينه وبين سكانها انتهت بالاتفاق على الشروط الآتية :

- ١ - رفع الحصار عن الرس .
- ٢ - يضع اهلها السلاح ويلزمون الحياد .
- ٣ - لا يجوز لابراهيم وضباطه دخول الرس .
- ٤ - لا يجبر اهل الرس على تقديم شيء من المؤن والميرة للجيش ولا يدفعون ضريبة او غرامة .

٥ - تسلم الرس للجيش المصري بدون قتال اذا استولى على عتيزه ، وان لم يستول ، فيعود القتال .

واطلق هذا الاتفاق يد ابراهيم فمشى الى «الحبرا» فاستولى عليها ، ثم زحف على عتيزه فسلمها شيخها محمد بن حسن ، بعد حصار دام ستة ايام بشرط عدم معارضة حاميتها في خروجها على الا تأخذ شيئاً من الذخيرة والسلاح .
وتقدم بعد ذلك الى شقرا فهاجها وضرها بالمدافع فستعصت ، فحاصرها ثم صالح سكانها على الشروط الآتية :

- ١ - لا يأخذ منهم اسرى ويأذن بالذهاب لهم حيث شاؤا .
- ٢ - لا يحملون سلاحاً ولا يعودون الى قتال الجيش .
- ٣ - يستحل دماءهم اذا نقضوا هذه الشروط .

معارك الدرعية

ومشى بعد ذلك الى الدرعية ، فقاومته اصدق مقاومة .

ووصف الشيخ عثمان بن بشر مجزرة الدرعية ، وهو من الذين عاصروا تلك الاحداث ، وصفاً مؤلماً تقشعر لهوله الابدان ، فقد تفنن المهاجمون في ارتكاب الجرائم واقتراف الفواحش والآثام ، تفنن النجديين في البطولة والشجاعة والنضحية وبذل النفس في سبيل العزة والكرامة .

ونحن نقتبس بعض ما قاله وأورده ، تذكرة وعبرة ، واستيفاءً للبحث ، قل :

« في يوم الثلاثاء ٣ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ ، تقدم جيش ابراهيم من ضرمى الى الدرعية بطريق وادي حنيفة .

وكان الامام عبدالله قد رتب جموع اهل الدرعية ومن كان لديه من اهل الآفاق ، فقد لجأ كثيرون من اهل المدن النجدية التي استولى عليها المصريون الى الدرعية فراراً من ظلمهم حتى اكنظت بهم ، فرتبهم في بطن الوادي وعن يمينه وشماله ، وأقامهم خارج السور وبين النخيل . وكان فيصل بن سعود وأخواه ابراهيم وفهد في بطن الوادي تجاه المعسكر المصري ومعهم ثلاثة مدافع . ووقف على يمينهم في الجانب الشمالي فوق تلك الجبال ، سعود بن سعود وأخوه تركي على شاطئ الشعيب المعروف بـ «القيصي» ومعهما عدد من أبناء الدرعية وغيرهم ، وبليها عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة ومعهم عدد من أبناء مدينته

وغيرهم . ووقف معهم تركي بن عبدالله الهزائي ومعه عدد من اهل مدينته وغيرهم .
ووقف على ذلك الجانب ايضاً ، عدة أبطال من الرؤساء من أهل دغير وغيرهم ،
وحول كل واحد منهم عدد من الاتباع لا يفارقونه حتى باب سحمان داخل
السور .

ووقف الامام عبدالله ومعه آل الشيخ وبعض الاعيان عند هذا الباب
داخل السور وعنده كفاية من المدافع . ووقف فهد بن عبدالله بن عبد العزيز
سعود في قرى عمران المعروف عند النخل المسمى بـ « الرفعة » ، ومعه عدد من
اهل الدرعية وأهل سدير ورئيسهم عبدالله بن القاضي احمد العربي وعندهم مدفع .
وكان امام كل برج ومتراس عدد من العساكر المصريين . ومن وراء هذه
المتاريس والختنادق في تلك الجهة الى اسفل الدرعية ، ابراج مشحونة برجال من
رؤساء اهلها وشيوخهم ، وعند كل فريق منهم مدفع . وربط سعود بن عبد
العزيز ومعه فريق من رجاله في اسفل الدرعية في بطن الوادي .

وبدأ القتال بعدما اقام ابراهيم جيشه تجاه أهل الدرعية ، وكانت الحرب
سجالاً في أيامها الاولى . ثم حمل الدرعيون على المصريين في اليوم العاشر لابتداء
النضال في العيصي الشعب المعروف خارج البلد شمالي الوادي ، فدار قتال شديد .
ودارت معركة اخرى في شعب الحريقة خارج البلد جنوبي الوادي ، ثم كانت
وقعة غبراء المشهورة وهو الشعب في اقاصي المتاريس الجنوبية ، ذلك ان الباشا
جمع خيلاً بالليل وأقامها في وسط الشعب بحيث لا يراها احد من اهل المتاريس .
ولما طلع النهار ارسل فريقاً من جنوده فتضاربوا مع خصومهم لاشغالهم ، ثم تقدمت
الحيل من وراء الابراج وأخذت النهديين على غرة ، فترجعوا والمصريون وراءهم
وفقدوا نحو ١٠٠ قتيل منهم فهد بن تركي ، ومحمد بن مشاري ، وحسين الهزائي ،
وبعض أهل الرشم وسدير ، وتراجع الدرعيون .

ثم كانت وقعة سحمة النخل أعلى الدرعية جنوبي الوادي ، فقد جمع الباشا
بعد واقعة غبراء ، عدداً من جنود المتاريس وضمهم الى من عنده من الحياالة

وأرسلهم الى قائد المنطقة الجنوبية ، كما أصدر أمراً الى جنود المنطقة الشمالية من المغاربة وغيرهم بأن يبدأوا الحرب ، ثم زحف في بطن الوادي ومعه مدافعه فهاجم الابراج الكبيرة على يمين الوادي وشماله ، وشدد على البرج الذي يربط فيه عبدالله بن عبد العزيز واخوانه ، فكانت معركة كبيرة انتهت بانتلام تلك البروج وتهدم اكثرها ، فانسحب عبدالله والذين معه من البرج وانحازوا الى مكان مجاور فاستولى عليه المصريون ثم حملوا على البرج الذي يدافع عنه عمر بن سعود فثبت ومن معه ، غير انهم تراجعوا فيما جاؤهم من الخنق . ثم حملوا على فيصل والذين معه فثبتوا وقتلوا قتلاً شديداً . وانتهت المعارك في ذلك اليوم بارتداد الدرعيين الى «السماني» على شفير الوادي ، اذ وقف فيصل وأخوه سعد وحولهما كثير من الشجعان ، فقاتلوا قتلاً شديداً وردوا المصريين وقتلوا منهم مقتلة كبيرة .

الاستيلاء على خط الدفاع الأول

وتم للمصريين بهذه الحركة الاستيلاء على خط الدفاع الاول ، كما تقول في الاصطلاح العصري ، وانتقلت المعركة الى خط الدفاع الثاني . وكان هذا الخط كما يأتي :

رابط في بطن الوادي فيصل وتركي وفهد وأعمامهم وجمع كبير من الدرعيين وغيرهم . ورابط بجانب الوادي جنوباً ابراهيم بن سعود ومعه ابناء البحيري والمريخ من احياء الدرعية وغيرهم ، ورابط في اعلى الجبلية في رأس الجبل ابراهيم بن سعود وابن اخيه سعد بن عبدالله ومعه مدفع كبير وحوله جمع غفير . وكان نقل الحرب يتركز في هذه الناحية .

حرب الخنادق

وبدأت حرب الخنادق ، ولزم كل فريق خنادقه ، وهي متقابلة . وكانت القتال يدور في غالب الايام من داخلها ، ثم تحولت فصارت المعارك تنشب كل

يوم وقت ، وكانوا يتضاربون من داخلها بالبنادق والسيوف . وكانت المدفعية المصرية تواصل صب قنابلها دون توقف فتلهب الجو . وصبر الدرعيون وثبتوا وقاتلوا اعداءهم حتى ملأوا فجاج الارض من جثثهم . وكانوا أحياناً يحملون عليهم ، والمصريون يحملون ايضاً . وكان الباشا يتقدم المهاجمين ، سائقاً رجاله امامه ، وكان المصريون يعوضون خسائرهم من القتلى بمن يستحضرونه من الخارج فاذا خسروا ألقوا جاؤوا بالفين ، وكانت الامدادات تردهم من مصر اسبوعياً وبدون انقطاع ، وكانت قوافل الطعام والزاد والسلاح ترد على الدوام .

وازدادت ضائقة اهل الدرعية ، بسبب طول زمن الحصار وامتداد القتال وقد استمرت نحو ستة أشهر ، فقدوا خلالها كل ما كان مدخراً لديهم ، كما ان عدد المقاتلين منهم كان يتناقص تدريجياً لعدم وجود موارد ، على ان ذلك لم يحل بينهم وبين الاستمرار في القتال .

ولما طال زمن الحرب بعث الباشا خيلاً الى (عرقه) القرية المعروفة في أسفل الدرعية ، فاستولوا عليها وأشعلوا فيها النار . واستمرت المعارك دون انقطاع .

واقترح بعض ابناء نجد من الذين انضموا الى الباشا ومشوا في ركابه - اقترحوا عليه ان يبعث الى اهل البلاد النجدية التي دخلت في طاعته ، فيأخذ من كلٍ منها رجالاً يقاتلون معه ، وقالوا ان ذلك اضمن للنجاح والفوز ، فالنجدية يعرف كيف يقاتل النجدية ، فأخذ باقتراحهم وجند كثيرين من أبناء نجد اشتركوا في القتال .

وأصابت قبيلة مستودع الذخيرة المصري فانفجر ، فأحدث انفجاره دويماً هائلاً وأهلك خيلاً ورجالاً ، وأحرق خياماً ، ففرق المصريون في رؤوس الجبال خوفاً وهلعاً ، فأرسل الباشا يطلب امدادات وأسلحة بدل ما فقد ، فجاءه ما طلب من نواحي نجد ثم من مصر ، وتواردت عليه القوافل من البصرة والزيبر . وانضم اليه النجديون الذين اجلاهم آل سعود عن بلادهم ، وكثرت لديه الوقود

والمعدات ، فانتعش وشدد الضغط على الدرعية وسكانها ، وأعلن الامان لكل من يخرج منها وينضم اليه . وقتل في هذه المدة فيصل بن سعود ، فحل محله شقيقه تركي في قيادة خندقه .

وتتابعت المعارك ، فيوماً يحمل هؤلاء ، ويوماً أوائلك ، وأخيراً استبكا بمعركة كبيرة جنوبي الدرعية قتل فيها كثيرون .

ودارت معارك عنيفة في قرى عمران شرقي البلد . ثم ان آل دغثير واهل الناحية الشمالية ، حملوا على مدفعية المصريين وأرادوا جر بعضها فوجدوه مربوطاً بسلاسل الحديد .

وطال امد الحصار ، وارتفعت اسعار الزاد ، ونفذ المدخر فقادر الدرعية كثيرون من ابناءها وغيرهم فشجع ذلك المصريين فزادوا الضغط واخترقوا خط الدفاع الثاني من جهة المشيرفة وواجهوا الدرعيين من امامهم وخلفهم فتفرقوا ولباء كل منهم الى منزله واحتسى فيه .

حرب الشوارع

وانتقلت الحرب بعد ذلك الى الشوارع وطبق ابناء الدرعية في النصف الاول من القرن الماضي ، هذا الضرب من ضروب القتال الذي يزعمون انه من مبتكرات هذا القرن ، فقاتلوا المصريين في الشوارع وأمام الدور ، وفي داخل المنازل ، وفي كل مكان .

وانتقل الامام عبد الله بعد ان اشتد الضغط من برج سمحان الى قصره في الصريف ، تاركاً تخيمه ومدافعه وثقله في مكانه فنزل الباشا في محله وسلط مدفعيته على باب الظهيرية وخربه بعنف . وانتشر المصريون في السهل ودخلوا البيوت فثارت نائرة عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب فاستل سيفه وانتدب اهل النخوة والحمية فاجتمع عليه اهل البعيري وقاتلوا اصدق قتال وردوا المصريين بعد ان قتلوا منهم الكثيرين .

يطلبون الصلح

وادرک قادة الدرعية ، بعد ان وصلت الامور الى هذا الحد انه لا فائدة ترحى من اطالة امد المقاومة ، فأرسلوا الى الباشا يطلبون الصلح فأجابهم اليه ، فزاره وفد قوامه عبد الله بن عبد العزيز بن محمد سعود ، وعلي بن الشيخ محمد عبد الوهاب ، ومحمد بن مشاري بن معمر ، وطلبوا منه ان يصلحهم على البلد كله ، فأبى ان يصلحهم الا على السهل أو يحضر عبد الله بن سعود بالذات ، فتم الصلح على أهل السبل وحده وذلك يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣٣ .

وحمل المصريون حملة كبيرة على اهل الصريف حيث قصر الامام واحاطوا به من جميع جهاته ، فنقل المدافع التي كانت في القصر الى مسجد الطريف ، واستمر القتال هنا مدة يومين بأقصى شدته ، فجنح الامام بعده الى التسليم ، فأرسل الى الباشا يطلب الصلح ، فأجاب اليه ، وهذه هي الشروط التي تم الاتفاق عليها :

- ١ - تسلم الدرعية للجيش المصري .
 - ٢ - يتعهد ابراهيم بأن يبقي عليها ولا يوقع بأحد من سكانها .
 - ٣ - يسافر عبد الله بن سعود الى مصر والاستانة عملاً برغبة السلطان .
- ووقع على هذا الاتفاق في شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٣ .
- وبعد يومين من توقيع الاتفاق طلب ابراهيم من الامام ان يتجهز للسفر الى مصر فذهب ومعه اثنان او ثلاثة من اتباعه .

شهداء آل سعود

وأورد ابن بشر وهو يصف هذه المعارك أسماء الذين استشهدوا فيها من آل سعود « ليعرف الناس صدقهم في الحروب ومباشرتهم القتال بأنفسهم » وقد بلغوا عشرين شهيداً هذه الامتياز :

فيصل بن سعود واخوه ابراهيم ، واخوه تركي مات في آخر الحصار مريضاً ، وفهد بن عبد الله بن عبد العزيز ، وفهد بن تركي بن عبد الله بن محمد سعود ، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود واخوته ابراهيم وعبد الرحمن وعبد الله ، و ابراهيم بن عبد الله بن فرحات ، وعبد الله بن ناصر بن مشاري ، ومحمد بن عبد الله بن محمد سعود ، وسعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وابن محمد ابن عبد الله بن محمد سعود ، وسعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وابنه محمد . والباقون من آل ثنيان ، وآل ناصر ، وآل هذلول ، وهؤلاء لا يحصى عددهم لكثرتهم .

واستشهد من آل معمر ١٥ رجلاً منهم ٩ في معركة ضرمى . واستشهد من آل دغثير ٦ ، واستشهد الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

مصادرة أموال آل سعود

وأقام الباشا تسعة أشهر في الدرعية بعد استسلامها ينظر في شؤون نجد وأصدر وهو فيها أمراً الى آل سعود وآل الشيخ بأن يسافروا جميعاً كباراً وصغاراً ، نساءً ورجالاً ، مع ابنائهم وذويهم الى مصر ، فارتحلوا اليها تحت مراقبة شديدة ، الا من هرب او اختفى . وكان تركي بن عبد الله واخوه زيد في عداد هؤلاء ، ولجأ القاضي الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد عبد الوهاب الى عمان وقطر .

وصادر كل ما كان لآل سعود وآل الشيخ من مال وعقار ولم يبق لهم شيئاً .

تدمير الدرعية

ووصلت في شهر شعبان سنة ١٢٣٤ أي بعد نحو عشرة اشهر من ختام الحرب اوامر الى ابراهيم من محمد علي تقضي بتدمير الدرعية وهدمها . فأصدر أمراً الى أهلها بأن يرحلوا عنها ، وأمر جنده بأن يهدموا دورها وقصورها ودكاكينها ويقطعوا نخيلها وأشجارها ولا يبقوا على شيء منها ، ففعلوا ، وتفرق أهلها في الضواحي .

وأصدر الباشا تعليمات الى جنوده بهدم الاسوار والحصون في جميع أنحاء نجد وتدميرها ، فهدمت ودمرت . وقتلوا خلال هذه العملية عدداً من رؤساء نجد وشيوخها فكان محمد بن عبد المحسن بن علي امير شمر في عداد المقتولين ، ومثله أمير عنيزة ، وفهد بن سليمان بن عفيصان واخوته عبد الله وابن عمه ابراهيم ، وصادر اموالهم وكل ما كان لديهم ، وقتل ايضاً علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . وما كانت للنفوس اية قيمة في نظرهم .

مجموع القتلى

ونقل الشيخ ابن بشر رواية رواها كاتب ابراهيم باشا الخاص لأحد النجديين من أتباع سعود فقال له : ان مجموع قتلى الحملة المصرية بلغ ١٢ الفاً وخرج الشيخ من هذا الرقم ، بعد معادلة بسيطة ، بالنتيجة الآتية :

قدر عدد قتلى الحملة في معارك الرس وعنيزة وشقرا وخرمى ، وهي التي اشتبكت فيها قبل بلوغ الدرعية ، بألف وخمسةماية الى ألفين ، وأما الباقون فقتلوا في معاركها .

وقدر عدد الذين قتلوا من الدرعية ومن ابناء النواحي المجاورة الذين انضموا اليها بألف وثلاثماية .

نظرة في أعمال الحملة

حملت حملة محمد علي الى شبه الجزيرة العربية الفساد ، والرشوة ، والحراب ، والدمار ، واحرقت مدنها وقراها ، وقتلت ابناءها ورجالها ، وذهبت بكل ما كان فيها من عمران ، ونشرت الامراض الحبيثة في ارجائها ، فقد كانت حتى دخولها نظيفة من كثير من الامراض التي لم تكن معروفة بالشرق العربي قبل اختلاطه بالاوربيين كالانجزي والسيلان وغيرها .

وفضلاً عن ذلك فقد تألفت الحملة من اسوأ العناصر وأكثرها خسة ودناءة فكان معظم رجالها من الالبانيين والترك ، ولا يزالون يتحدثون في الحجاز عن جرائمهم وآثامهم وفضائحهم . اما ضباطها وقوادها فكانوا بالجملة من الترك والالبان والشراكسة .

وكان هنالك عدد كبير من المدفيعين والفنيين الاجانب من غير المسلمين ، وقد امعن هؤلاء وهؤلاء في السلب والنهب وارتكاب المظالم والموبقات والفظائع حتى لم يبق مكان في تلك البلاد لم يصبه رشاش مظالمهم .

بدأت بمذبحة وانتهت بكارثة

تلك كانت خاتمة حملة محمد علي الى نجد ، بدأت بمجزرة القلعة بالقاهرة التي ذبح فيها ٤٦٩ انسان في وقت واحد ، وانتهت بتدمير الدرعية ، اجمل مدن نجد واكثرها عمراناً وسكاناً ، على المنوال الغريب الذي وصفناه ، وقد استفظها الناس كلهم . واذا دلت على شيء فانها تدل بالاضافة الى مجزرة القلعة ، على ما ركب في رأس ذلك الطاغية من نهم الى شرب الدم والقتل والتدمير ، بما تفرد به دون رجال عصره .

ولقد كان لهذه الفظائع والمظالم - وهي ليست إلا جزءاً صغيراً مما أجرم واقترف - تأثيرها في نفسه ، فاستيقظ ضميره في آخر عمره فارتاع وأضاع عقله وصوابه ودخل في عداد المهانين ، وذلك سنة ١٢٤٨ ، ثم هلك بعد قليل وكذلك جزاء الظالمين .

خوائب الدرعية واطلالها

ومع انقضاء هذه المدة الطويلة نحو ١٤٠ سنة (شعبان ١٢٣٤) ، على تدمير مدينة الدرعية ، عاصمة جزيرة العرب واجمل مدنها واكثرها عمراناً ، وبالسكان ازدحاماً ، بيد الجيش المصري ، فان الحكومة السعودية ، لا تزال تمنع ازالة الانقاض والهدم والردم ، مبقية عليه كما تركه المصريون وتاركة كل قديم على قدمه .

ولقد زار كاتب هذه السطور الدرعية ، ولا تبعد عن الرياض العاصمة في الوقت الحاضر اكثر من ٢٥ كيلومتراً وهي في شمالها ، وبينهما طريق معبدة مرصوفة ، ووقف على اطلالها وشاهد ابنتها المدمرة وقصورها الحربة ومساجدها المنهارة ، وشوارعها المقفرة ، فألمه ما رآه من مشاهد مؤذية مزعجة .

ومدينة الدرعية مبنية على الضفة الغربية لوادي حنيفة ، وعلى جانبها الآخر الضفة الشرقية ، ويفصل بينها الوادي - تقوم جبانة الرياض القديمة ، وفيها ضريح الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس دعوة الاصلاح الديني ورائدها ، وقبره معروف هناك ، ولا يختلف في شيء عن القبور العادية الكثيرة ، ومكانه في أقصى الطرف الشمالي للجبانة ، وسألت عن قبور الأئمة من آل سعود ، وهم يرقدون هناك فلم أجد من يعرفها ، او يرشد اليها .

عهد الامام تركي به عبد الله به سعود

وضعت الحرب أوزارها في نجد باستسلام الدرعية وسفر الامام عبد الله بن سعود الى مصر والاساتنة ، بعد أن استمرت نحو ثماني سنوات (شوال سنة ١٢٢٦ - شعبان سنة ١٢٣٤) وبعد ان كلفت نجداً الغالي من الدماء الزكية ، وبعد ان قضت على دولتها ووحدتها ، وذهبت بثرواتها واموالها ، وبكل ما كانت تملك وتدفخر ، وحملت اليها الحراب والدمار ، وفساد الاخلاق ، وألقت المداوة والشقاق بين ابناءها وسكانها .

ولم يعد محمد علي الاقطار العربية التي استولى عليها ، الى السلطان النماني وقد فتحها باسمه ، وهاجمها لحسابه ، بل احتفظ بها لنفسه ، وحكمها بواسطة موظفين كان يرسلهم اليها من القاهرة مباشرة ، ومن دون ان يكون للسلطان رأي بانتقائهم واختيارهم ، ولئن سكت السلطان وسكتت حكومته وتفاضت ولم تحرك لساناً بالاعتراض ، ولم ترسل مذكرة بالاحتجاج ، فلأنها كانت ضعيفة وعاجزة لا تستطيع ان تفعل شيئاً لاستردادها ولاعادة محمد علي الى حظيرة

الطاعة ، ولعلها كانت تنتظر فرصة أكثر مناسبة ، او مساعدة أجنبية من الخارج فتتزعجها منه وتحاسبه حساباً غير يسير .

ولم يكن الحكم المصري الجديد الذي أخضعت له بلاد العرب أفضل ولا أكرم من الحكم العثماني القديم ، اذا لم نقل انه شر منه وأسوأ ، فقد أفسد الأخلاق والضمان ، وأباح المحرمات والمسكرات ، وحارب الدين وتعاليمه ، وقتل بعلمائه وحملته ، وحاربهم حرب إبادة وإفناء ، وكتب النجديين اتي وصلت الينا من الذين شهدوا ذلك العهد وعاشوه ، طافحة بالشكوى والأين من الحالة التي صارت اليها بلادهم ، وصار اليها شعبهم في هذا العهد السيء المظلم الذي أعاد نجداً على حد قولهم ، الى عهد الجاهلية ، ومحاً للتوحيد وأحيا البدع ووجدد عهد الخرافات .

وكان اول ما فعله الحكم المصري الجديد ، انه مزق وحدة نجد الادارية ، وهي أثن وأغلى ما نالته في عهد الاصلاح ، وأعاد البلاد الى النظام القديم ، نظام المقاطعات والاقطاع ، فعين لكل مدينة او عشيرة شيخاً او رئيساً يحكمها طبق الاوضاع القديمة ، وكان يكتبي مجباية الضرائب ويتبع في جبايتها اسوأ الاساليب وأقاسها .

المحاولة الاولى

ولم تفت النكبة على شدتها وهولها ، في عضد آل البيت السعودي ، ولم تحملهم على الخضوع والاستسلام ، إذا لم نقل انها شحذت عزائمهم ودفعتهم الى العمل ، لاسترداد الاستقلال العالي وتجديد الدولة التي أقاموها وشيدوها بسيوفهم وبتأييد الشعب لهم ، والتفافه حولهم .

وكانت اول محاولة بذات في هذا السبيل ، تلك التي قام بها محمد بن مشاري ابن معمر وهو ابن أخت الامام سعود ، فقد وصل في اواخر سنة ١٢٣٤ ، اي بعد التدمير باسابيع الى الدرعية ، فنصب نفسه إماماً ، وكاتب اهل البلدان

ودعاهم الى طاعته والوفود عليه ، فاستجاب له بعضهم وهو الاقل . على انه ليس فيما بين يدينا من اخبار ذلك العهد ما يدل على أنه كان على اتفاق مع المصريين فيما فعله ، وكانوا يحتلون البلاد .

ووصل الى الدرعية في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ ، أي بعد أشهر من وصول بن معمر اليها ، مشاري بن سعود ومعه بعض أهل القصيم وكميات من الأرز والطعام ، ونزل في بيت من بيوت اخوانه ، فانضم اليه ابن معمر وبإيعامه كما بإيعامه أهل سدير والمحمل وبعض أهل الوشم ، على أن ابن معمر ، والظاهر انه ندم على بيعته ، لمشاري ، انقلب عليه واعتقله وسلمه الى السلطة المصرية فنقلوه الى سجن عنيزة وقتلوه .

وصول تركي بن عبد الله

ووصل الى الدرعية ايضاً في تلك الأيام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ومعه أخاه زيداً .

ويقول ابن بشر في تاريخه ج ٢ ص ٦٠ : ان تركياً هذا غادر الدرعية تحت جنح الظلام ، عند ما أشرفت معركتها على النهاية ، فنزل على آل تامر في بادية العجمان وتزوج من بنت غيدان بن جازع بن علي ، فولدت له ولداً اسماه « جلوي » ، لانه ولد في زمن الجلاء . ثم اخذ ينتقل بين البلدان والعربان داعياً الى احياء المجد ، حتى وصل الى مدينة الحلوة المعروفة في الجنوب فأقام فيها حتى أدرك انه آن اوان العمل فخرج منها على رأس شردمة من الرجال وجاء فاستقر في « عرقة » (اسفل الرياض) واتخذها قاعدة له ، ثم انتقل الى حابر سبيع ، حين اشتد الخلاف بين مشاري وبين ابن معمر . ولما تنكر الاول للثاني واعتقله وسلمه للمصريين ، سار والذين معه الى ضرمى واستقر فيها بعد ما أحبط مؤامرة دبرها ابن معمر للتخلص منه .

واستقبل وهو هناك وفوداً من أهل سبيع وغيرهم جاؤوا لمبايعته ، ثم وصل والذين معه في شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٥ الى الدرعية وحاصر ابن معمر في قصره ثم اعتقله واستولى على الرياض . بعد ان ضرب عنقه وعنق ولده ، جزاء تسليبه مشاري الى المصريين ، ونقل العاصمة الى الرياض واتخذها قاعدة له . وارسل المصريون ، بعد استيلائه على الرياض قوة لاجراجه ، فقاومها وهزمها فارتدت الى تاذق ورابطت فيها .

وأعد حسين بك قائد الحامية المصرية في القصيم قوة كبيرة ، سار على رأسها الى ثرمدا . ثم أرسل فاستنفر أهل المدن المجاورة ، فلباه بعضها فسار بالذين معه الى الرياض ، فجمع تركي رجاله واستعد للمقاومة ، بيد ان تخلي أهل الرياض عنه ومحاولتهم محاصرة قصره ، جعله يتسلل في الليل منفرداً . فطلب الذين كانوا معه وعددهم ٧٠ شخصاً ، الامان عند طلوع النهار ، فأجيبوا اليه . وكان من بينهم عمر بن محمد بن سعود وأبناؤه الثلاثة ، فأعدموا .

مظالم الجيش المصري

وأرسل حسين بك هذا ، وكان لا يزال في ثرمدا ، منادياً ينادي في الاسواق سنة ١٢٣٦ داعياً ابناء مدينة الدرعية الذين كانوا هناك ، للقدوم عليه ليعطيهم كتباً يعودون بموجبها الى مدينتهم ، فاجتمع لديه نحو ٢٣٠ منهم ، فأمر باعدامهم فقتلوا عن آخرهم ، وأخذوا اموالهم وبعض اطفالهم ، وتركوا البعض الآخر مع النساء . ومن الذين قتلوا في تلك الجزيرة صالح بن ابراهيم بن دغثير ، و٩ من آل سليم ، وغيرهم وغيرهم .

وأقام حسين هذا ، وكان من الطغاة البغاة ، الذين زادوا في حقد الناس على مصر وحكومتها ، حاميات عسكرية في مدن نجد ، كانت تقرض الغرامات وتأخذ من الناس كل ما لديهم من أموال . ولم تكف بذلك ، بل جمعت الحلي والذهب والفضة ، والاولاني والطعام ، وصادرت السلاح ، وقطعت اشجار

النخيل ، وحبست النساء والاطفال وعذبتهم ، ففرق اهل المدن ولجأوا الى الجبال والصحاري هرباً من الظلم النازل بهم .

عودة الامام تركي

وكثر الفتن ، وكثر السلب والنهب ، وكثرت اعتداءات الجنود على الناس ، وزادت المظالم ، فكان ذلك حافزاً جديداً حفز تركي على العودة الى ميدان الجهاد لانتقاذ قومه من شر حكم فرض عليهم ، فأقبل في سنة ١٢٣٨ من الحلوة الى «عرقه» واتخذها قاعدة له ، وما كان عدد رجاله يزيد على الثلاثين ، لا سلاح لديهم ، فكان محمد بن غيبه امير شقرا اول من انضم اليه . وأرسل ايضاً تركي ابن عمه مشاري بن سعود الى سدير مع كتاب منه الى أميرها سويد لكي يقدم اليه ومعه كل من يستطيع احضاره من الرجال والسلاح ، فلباه وجاء معه اهل جلاجل وسدير والمحمل ومينخ .

ورفع الامام راية الحرب ، بعد ان تجمعت لديه هذه القوى وقصد الرياض ومنفوحة ، وفيهما حامية مصرية لا يقل عدد جنودها عن ٦٠٠ ، فاشتبك معها فانسحب سويد ومعظم الذين كانوا معه ، فحاصره المصريون والذين بقوا معه ، فصرلحربهم ثم انسحب وتراجع . وانضم أهل الرياض الى الحامية المصرية وقاتلوه معها خوفاً على مدينتهم .

وعاد الامام فأعد سنة ١٢٣٩ قوة عسكرية سار على رأسها الى ضرمى بعدما استخلف في عرقه عمر بن عفيضان ، فاصطدم بناصر السيارى فوثب عليه ولم يتركه الا بعد لفظ روحه .

ووقعت فتنة بين اهل سدير والروضة قتل فيها كثيرون من الفريقين، فنهض الامام وسار من ضرمى الى تاذق وكتب الى الفريقين قائلاً : « من كان منكم في السمع والطاعة فليكف عن الحرب والفتنة وليقبل علي » . فأتاه رؤساء سدير وبابيهوه ، ثم انه استنفر أهل «المحمل» وسار بهم الى جلاجل ، فبايعه اهلها .

وكتب إلى رئيس بلدة «المجمعة» يدعوهُ للطاعة فلم يرد ، فاستنفر اهل سدیر وسار اليه وحاصره ، فاستسلم وبايع .

وجاءه اهل الزلفى واهل الغاط مبايعين ، وكاتب اهل شقرا وغيرهم من اهل الرشم ثم رحل اليهم واقام بينهم ثم سار الى جلاجل ورتب فيها حامية واستنفر اهل الزلفى والغاط ومنيخ وسدير وسار الى حريملا فاستعصت عليه فنازلها فاستسلمت واطاعت ، ثم اتجه الى منفوحه فاستسلمت واطاعت . وقصد بعد ذلك الى الرياض وكانت فيها حامية مصرية فقاومته ، فحاصرها واستمر القتال بينها نحو شهر ، ثم رحل عنها في نهايته لوصول نجدات اليها بقيادة فيصل الدويش شيخ مطير . على انه عاد الى حصارها بعد رحيل هذا وضابقها وقطع كل صلة بينها وبين الخارج .

وتقدم اليه قائد هذه الحامية يطلب صلحاً له ولاهل الرياض ، فصالحه على ان يخرج بجنوده وقواه ويعودوا الى اوطانهم . وعلى ان يكون لأهل العارض كافة الامن والامان .

فكان هذا اول فوز يناله ، كما كان اول لبنة في بناء تجديد الدولة .
وعهد الامام الى ابن عمه مشاري بن ناصر بأن يدخل الرياض ويتولى امرها وارسل معه حامية قوية .

وانضمت اليه بعد ذلك حوطة بني تميم والحريق وثرمداء وشفقراء ووفد اليه امير عنيزة وكاتبه رؤساء القصيم كما انضمت اليه مقاطعة الحرج .

ووصل الى الرياض سنة ١٢٤٢ نجده فيصل هارباً من مصر . ووفد اليه في هذه السنة رؤساء القصيم مبايعين على السمع والطاعة .

وزار الحسا في سنة ١٢٤٤ ، فأقبل عليه علماءها وامراؤها مبايعين . وقبل ذلك وفي سنة ١٢٤٣ زاره وفد من رؤساء عمان وطلبوا منه ان يرسل معهم قاضياً ومعلماً وسرية تقاتل معهم عدوهم فأجابهم الى طلبهم وانتدب عبد الله بن سعد اميراً فسار معهم ونزل في قصر البويمى .

واستقبل في سنة ١٢٤٧ مندوباً جاء من بغداد يحمل كثيراً من الهدايا مع كتاب من علي باشا والي العراق ، فرد بالمثل وارسل كتاباً خاصاً مع هدايا اليه .

منشور الامام تركي الى اهل نجد

وارسل الامام تركي بعد ان استتب له الامر ، وبابعته البلاد والنف الشعب حوله ، المنشور الآتي الى اهل الامصار ، لتلاوته في المساجد ، وللعمل بما جاء فيه ، وهو اشبه بدستور للحكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبد الله - الى من يراه من المسلمين :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فوجب الخط ابلاغكم السلام ، والسؤال عن احوالكم ، والنصيحة لكم والشفقة عليكم ، والمعدرة من الله تعالى ، اذ ولا في الله تعالى امركم ، والله المسؤول المرجو ان يتولانا واياكم في الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن اذا اعطي شكر ، واذا ابتلي صبر ، واذا اذنب استغفر ، والله تعالى منعم يجب الشاكرين ووعدهم على ذلك بالمزيد . قال الله تعالى « لان شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

فالذي اوصيكم به ، تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، قال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويجتنب ما حرم الله ، وترك ما حرم الله ، واعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولا يخفاكم ما وقع من الاخلال بها ، والاستخفاف بشأنها ، وهي عمود الاسلام الفارقة بين الكفر والايان ، من اقامها فقد اقام دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع . وهي آخر ما اوصى به النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه ، وهي آخر ما يذهب من الدين ،
 وهي اول ما يجاسب عليه العبد يوم القيامة . وبعض الناس قد يسيء في صلاته
 ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده او في نخله هو ورجاله والمسجد جار
 له . وفي الحديث « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » وهم النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم ان يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار لولا ما فيهم من النساء
 والذرية ، وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : « لقد رأيتنا وما يتخلف عنها
 الا منافق معلوم النفاق » وهذه امور ما يخفاكم وجوبها لكن الكبرى عدم
 انكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس ، ان كلاً ذنبه على جنبه . وفي
 الحديث « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفية
 ولتطرذن على الحق اطراءً او ليعنكم الله بعقابه » ، وكذلك الزكاة وبعض
 الناس يبخل ويستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله تعالى وأنتم
 تعلمون انها من اركان الاسلام . قال الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب
 والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم يوم يحسب عليها في نار جهنم
 فتكوى بها جباههم وجنوبهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حق
 الله منه إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح واهى عليها في نار جهنم
 فيكوى بها جبينه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين الف
 سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وأما إلى النار » . ثم ذكر
 عقوبة مانعها من الابل والبقر والغنم ، وكل مالا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب
 به صاحبه . ونصاب الزكاة قهيمونه . وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره
 صاحبه ولو كان من زرع فقد زكى اذا حال عليه الحول وهو معد للتجارة
 وجبت فيه الزكاة او تمر او امانهما كل ما اعد للتجارة تجب فيه عند الحول .
 والله يتلى الغني بالفقير ، وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فترجو الله تعالى ان

قبلها منه ، ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فإله خير الماكرين . وكذلك معاملة الربا تفهمون انها اكبر الكبائر وان مرتكبها محارب لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل ربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » . وفي الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه » ، فلعنهم سواء فدل هذا الحديث على ان الرضا بالمعصية معصية ، وان من لم ينكر على العاصي كالمراتي فهو مثله . وفي حديث آخر : « الربا سبعون ضرباً أيسرها مثل من ينكح امه » . وفي الحديث ايضاً : « أربعة حق على الله لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه » . ومن أنواع الربا الطعام بالطعام الى اجل ، وبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، والتفرقة قبل القبض ، أو بيع الملح بالطعام قبل القبض . وفي الحديث : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح يدأ بيد ، وزناً بوزن ، كيلاً بكيل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي » . فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم اذا كانت يدأ بيد . ومنه القرض الذي يجير منقعة . وفي الحديث : « كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا » . وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر اذا كان في ذمته دراهم فمعجز عن وفائها فأسلمها اليه بطعام وهذا يشبه ربا الجاهلية ، وكذلك بيع العينة وهي حرام ، بأن كان عند رجل سلعة فاشترها منه انسان الى اجل ، ثم اشترها منه صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها . وأنواع الربا لا يمكن حصرها . فيلزم المسلم الذي له معاملة ان يفهم

أنواع الربا ودقائه ثلاث يقع فيه ، والجاهل يسأل العالم ، والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق المال ، فأنتم استعيدوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . وكذلك المكابيل والموازن . وأنا ملازم كل امير بأن يحضر مكابيل بلده ، صغارها وكبارها ، وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكابيل واحد . وكذلك تفعلون بالموازن ، وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخص المكابيل والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمّي كما في الحديث : « أدّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » . وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الرديئة والذين يجتمعون على شرب التتن والنشوق به ، وكل اهل بلد لا بد ان يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع فان كانت خاوية فلا بد ان يعمروها ، والذي يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه اليينا . وأنا مطلق الامر بالمعروف والتناهي عن المنكر اذا كان عن علم ينصح أولاً ويؤدب ثانياً ، ومن عارض من خاص او عام فادبه الجلاء عن وطنه . وهذا من ذمّي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر . وأنا أشهد الله عليكم اني بريء من ظلم من ظلمكم ، وانا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » . وأعزكم الله بعد الذلة . وجمعكم بعد الفرقة ، وكثركم بعد القلة وآمنكم بعد الخوف . وبالاسلام اعطى الله ما رأيتم والسلام .

اغتيال الامام تركي

في سنة ١٢٤١ وصل الى الرياض قادماً من مصر مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود ، وهو ابن شقيقة الامام تركي ايضاً فرحب به وعينه اميراً على منفوحة ثم على الرياض .

و غادر مشاري هذا البلاد بعد مدة مغاضباً ، وبعد ما حاول اقناع بعض رؤساء العشائر بالانضمام اليه في ثورة يضررها على خاله فأبوا ، فذهب الى مكة طالباً المساعدة من شريفها محمد بن عون ، فاعتذر له ، فلما تقطعت به الاسباب عاد الى نجد ونزل بلدة « المذنب » وطلب من شيوخها ان يتوسطوا له عند خاله بعد ما اظهر الندم والتوبة ويطلبوا له العفو والامان ، فعفا عنه ورحب به عند وصوله وانزله في بيت اعد له وكفل جميع حاجاته ، على انه منعه من الاختلاط بالناس والاتصال بالخارج .

وجاء الامام تركي يوم الجمعة اخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٩ الى مسجد الطريف لاداء صلاة الجمعة ، وبعد ان اداها وخرج على عادته من الباب الواقع جنوب الممرات عائداً الى قصره ، تقدم منه احد رجال مشاري وسلمه كتاباً فأخذ يقرؤه والى يساره احد اتباعه ، فاعترضه عبد آخر لمشاري اسمه ابراهيم بن حمزه وأدخل « طبنجة » كان يحملها في كفه وهو غافل ، تم اطلاقها فأصابت منه مقتلاً فسقط لساعته .

وخرج مشاري من المسجد ، وهو الذي دبر المؤامرة ، وسيقه مشر في يده ومعه بعض انصاره والسيوف في ايديهم ، وهددوا كل من يتحرك او يتكلم بالقتل .

ودخل مشاري والذين معه الى القصر وجلس للناس يدعوم الى بيعته . وأصدر امراً الى نساء تركي وعياله ونساء ولده فيصل ان يخرجوا منه فخرجوا ، واستولى على كل ما كان فيه من اموال وسلاح ، وزع جانباً كبيراً منه على اتباعه وانصاره .

فاجعة مؤلة

وهكذا ، وعلى هذا المنوال المنكر والمنطوي على شر انواع الحسة والدناءة ، لفظ الامام تركي روحه بعد ان جاهد في الله حق جهاده ، وبعد ان جدد الدولة

السعودية ورفع منارها عالياً ، ولئن دل عمله هذا على ما فيه من رجولة واقدام فان فيه معنى آخر وهو حب اهل نجد للبيت السعودي وحنينهم الى حكمه ، وتقديرهم لزازاه وفضائله ، ولولا هذا الحب وهذا الحنين وهذا التقدير لما فاز الامام تركي ، ولفشل كما فشل سواه من الذين حاولوا ما حاول ، وسعوا لما سعى .

لقد جرب اهل نجد انواعاً متنوعة من نظم الحكم بعد انقضاء عهد آل سعود ، فشقوا وذاقوا الامرين . ولذلك لم يترددوا في الالتفاف حول الراية السعودية حينما رفعها هذا الشبل ، فشوا تحتها لما توحى به من الثقة والاطمئنان وهي ثقة صنعها ابناء البيت السعودي ودفعوا عنها جهداً غالياً ، ودماء ذكية بذلوا في سبيل نجد ، فرفعوا شأنها وعظموها قدرها فأحبتهم وناصرتهم .

الانتقام والثار

ووصل النبا الى نجده فيصل ، وكأنت يغزو في القطيف ، فسار الى المهفوف وهناك دعا رؤساء جنده وكلهم من سادة البلاد ، فأبلغهم نبأ الفاجعة وقال لهم : لا بد من الانتقام والأخذ بالثار ، فبايعوه على السمع والطاعة . ثم تجهز وسار مع جيشه سرأ حتى بلغ مكاناً قريباً من الرياض مساء يوم الثلاثاء ١٧ محرم سنة ١٢٥٠ ، فنزل فيه وأصدر امرأ الى بعض رجاله بأن يدخلوا العاصمة سرأ ويضعوا اليد على حصونها ويستولوا على البيوت المجاورة للقصر ، فنفذوا أمره وتمت العمالية بسهولة ، ومشاري وانصاره في غفلة ولم يشعروا الا والاصوات تملأ الجو مطالبة بالثار ، فأغلق باب القصر وتحصن فيه .

وركب فيصل بعد صلاة الصبح من مكانه ودخل الرياض واشعل نار الحرب على من في القصر وعددهم ١٤٠ رجلاً ، وضرب الحصار عليهم وانتهت المعركة مساء يوم الخميس ١١ صفر سنة ١٢٥٠ بمقتل مشاري وستة من رجاله واستسلام الباقيين .

الامام تركي والانكليز

جاء في الوثائق الرسمية لحكومة الهند ، ان الامام تركي بن عبد الله جدد الدولة السعودية سنة ١٨٢٤ واعادها الى الحياة .

واسترد مقاطعة الحسا سنة ١٨٣٠ واخضع في السنة الثانية البحرين ومسقط .
واعاد سنة ١٨٣٣ النفوذ السعودي الى الساحل المهادن والمنطقة الواقعة وراهه واحتل البريمي .

وعقد سلطان مسقط سنة ١٨٣٣ اتفاقاً مع الامام تركي تعهد فيه ان يؤدي زكاة سنوية قدرها خمسة آلاف ريال .

واشترط الاتفاق بأن يحتفظ كل فريق بما تحت يديه من اجزاء الساحل ، حسب الحدود المعروفة . وكان ساحل مسقط يمتد حتى جعلان ، اما ساحل نجد فيمتد حتى القطيف .

واتفق الفريقان ايضاً على تبادل المساعدة لاسخاد ما يقع من الفتن .

وتصف سجلات حكومة بيمباي الامام تركي بأنه « كان يحكم بحصافة واعتدال » .

ويقول لوريمر في تاريخه (ص ١٢٤) ان الامام تركي ، كما جرت العادة عند الحكام من آل سعود ، رغب في ان يتمتع بعلاقات بحاملة مع الحكام

البريطانيين ، فجرت اتصالات ودية دلت على خلق متواضع قويم اظهره الامام تركي نحو حكومة بباي سنة ١٨٣١ (١٢٤٧) ، وعلى الرغم من انه لم تكن هنالك معاهدة موقعة تتشى مع مقترحاته ، فانه تلقى على رسائله جواباً ينطوي على المجاملة .

عهد الامام فيصل به تركي

الدور الاول

هنالك اجماع بين مؤرخي نجد الذين دونوا سيرة الامام فيصل بن تركي على القول ، بأنه كان من الصفوة المختارة ، وانه كآب يتمتع بمجموعة من المزايا والفضائل قل ان اجتمعت لسواه ، مما اكسبه مقاماً محموداً في نظر قومه ، وجعلهم يندفعون في تأييده ، ويتسابقون الى نصرته .

وتختلف الظروف التي وصل فيها الى الحكم عن تلك التي وثب فيها اليه والده ، فقد كانت ظروفه ايسر وأسهل . وبيان ذلك ، ان محمد علي وكان يحتفظ بالسيادة على نجد ، اندفع بين سنة ١٢٣٩-١٢٤٣ في حرب مع الشعب اليوناني ، تلبية لدعوة السلطان العثماني الذي كتب اليه يطلب منه اخضاع هذا الشعب الذي ثار يطلب الحرية والاستقلال ، فاستجاب له وأرسل جيشه واسطوله ، فاستبك في معارك حامية كلفته نحو ٣٠ الف جندي ومعظم سفن اسطوله ، فأقطعه السلطان جزيرة كريت وشبه جزيرة المورة في اليونان مكافأة وتعويضاً .

والظاهر إن انشغاله بالحرب اليونانية وارساله الحملة تلو الحملة الى تلك البلاد جعل قبضته العسكرية تتراخى على نجد فلم يعد يوليها العناية الكافية ، بل تركها لقواده العسكريين وكان كبيوم برتبة لواء واسمه احمد باشا ينزل في مكة .

هذا هو العامل المباشر في التحول الذي لاحظناه ونحن ندرس سيرة الامام تركي . فقد لزمنا الحاميات المصرية التي كانت منبثة داخل نجد اماكنها ولم تتدخل ولم تقاومه ، واقتصرت مهمتها على جباية مال الضرائب وارساله الى القاهرة ، معترلة الشؤون الداخلية الا في نطاق محدود .

وتبدل الحال بعد انتقال الامر الى الامام فيصل ، وقد تم ، ومحمد علي منشغل بارسال حملته الى بلاد الشام ^(١) للاستيلاء عليها وطرد الترك منها ، ولقد شجعت الانتصارات الاولى التي نالتها هذه الحملة وجعلته يطمع في انشاء امبراطورية عربية كبرى تنتظم البلاد التي تتطوق بالضاد ، فعاد الى التدخل في شؤون الجزيرة بعد ما اهملها ، فأرسل في سنة ١٢٥٢ حملة الى الحجاز نزلت في ينبع وكانت بقيادة اللواء اسماعيل آغا ، وجاء معها خالد بن سعود مؤيداً ومتعاوناً ، وقيل ان محمد علي اراد من ارساله فرضه أميراً على نجد .

وواصلت الحملة سيرها من ينبع الى المدينة ثم الى الحناكية ، فدل ذلك على انها تقصد نجداً وانما ستبدأ بالقصيم .

وارسل الامام فيصل ، وكان يرقب سير الحملة ويتتبع اخبارها ، ويعرف كل ما يجب ان يعرف من امرها ، فبدأ يستشير الزعماء والقادة وامراء البلاد وعلمائها ، وابلغهم نبأ وصول الحملة وسألهم رأيهم في الحطة التي يجب السير عليها ، فاقترح عبدالله بن علي بن رشيد أمير شمر والجليل ، استنفاذ الناس والسير الى القصيم والمرابطة هناك قبل وصولها ، وانضمام ابناء هذه المقاطعة اليها وتعاونهم معها ، فأعجب بالرأي وارسل فاستنفر الناس ، ثم غادر الرياض في

(١) بدأت هذه الحملة سيرها سنة ١٢٤٦ (١٨٣١) وانتهت سنة ١٨٤٠ (١٢٥٦) .

آخر شهر شوال سنة ١٢٥٢ وجاء فنزل بجوار ماء الصريف قرب التومة
(القصيم) .

ووصلت الحملة بعد قليل الى الرس ومعها خالد بن سعود يدعو الناس الى
مناصرتها وتقديم الطاعة لها .

وانتقل الامام والذين معه الى عنيزة واستنفر ابناؤها كما استنفر ابنه بريده ،
ثم اتجه الى الخبرا على مقربة من الحملة وكان على اهبه كاملة .

وعقد اجتماعاً عاماً وهو هناك ، واستشار خاصته في الحطة التي يسير عليها ،
وهل يشترك مع الحملة في معركة فاصلة ، ام يؤجل ذلك الى فرصة اكثر ملاءمة ،
فأشاروا عليه بالانتقال الى عنيزة او بريدة ، فأخذ يرأهم وسار بالناس الى
الاولى فبلغها يوم ٢٥ ذي الحجة وفيها استشار خاصته في الرحيل او المقام ،
فأشاروا بالرحيل فاتجه الى الرياض .

ولاحظ الامام بعد وصوله الى العاصمة من بعض رجالها ما رابه ، وشم
رائحة الميل الى الاستسلام والعودة عن المقاومة ، فأصدر الى جماعته الذين ظلوا
على الولاة له ، تعليمات تقضي عليهم بالجلاء سرأ عن الرياض ، وان يأخذوا معهم
كل ما يستطيعون اخذه . اما هو فقادر القصر على خيله مسرعاً وسار حتى
الخرج ، جنوبي الرياض ، ومنها ذهب الى الحسا ، وتفصل بينها وبين الرياض
« الصمان » ، ولا تقل المسافة بينها عن ٥٠٠ كم ، فأقبل عليه اميرها وعلماؤها
وقادتها وابعوه على النصر ونزل في قصر الامارة (قصر الكوت) .

خطة معقولة سديدة

ولئن رأى بعضهم في كثرة استشارات الامام وانتقاله بجيوشه من مكان الى
مكان ، ثم سيره الى الحسا حيث يكون في مأمن وراء صحراء الصمان ، فان
الذي نراه ونميل الى الأخذ به ، هو ان الامام ، وقد كان الموقف حرجاً

ودقيقاً ، وجراحات البلاد لم تندمل ، والدماء لا تزال تسيل منها ، ألا يعرضها لحرب جديدة قد تكون اقسى وأشد هولاً من الاولى ، خصوصاً بعد ما جربت نجد الجيش المصري ، وعرفت ما يحمله ضباطه وجنوده من روح قاسية ، فنجح الى هذه الحطة ، خطة التروي والاعتدال ومحاولة الابتعاد عن الاخطار بقدر الامكان مع الاحتفاظ بالشرف القومي وعدم تلويثه . يؤيد ذلك عودته الى الميدان ، حينما جاءت اخبار انتصارات قومه الذين هزموا الحملة وتغلبوا عليها .

فقد جاءت اخباره الاخبار وهو في الحسا ، ان اهل مدن الحلوة والحوطة والحريق من مدن العارض ، ابوا الخضوع للحملة المصرية بعد وصولها الى الرياض ودخولها لها يوم ٧ صفر سنة ١٢٥٣ ، واتفقوا على منازلتها ، فخرجت للقتال فهزموها وغنموا معداتها ،

الامام في الميدان

وغادر الامام ورجاله الحسا على أثر هذا الانتصار ، وجاء الى « الحرج » (جنوبي الرياض) ثم اتجه اليها ، ولما وصل الى «المصانع» وهي في الطريق ، خرج اليه خالد بن سعود وبعض اهلها مع بقايا الحامية المصرية ، فدارت معركة انتهت بهزيمة هؤلاء ، فأرادوا الرجوع الى الرياض فوجدوا الطريق مغلقاً ، فقصدوا المنفوحة ، فلحق بهم وحاصروهم ، فطلبوا الامان لهم ولأهل منفوحة فنالوه .

ثم قصد الى الرياض فحاصرها ، فقاومته ، واستمر الحصار مدة شهرين ونصف ، ثم حمل عليها يريد انجاز امرها ، واستعان بالسلام ، فاستعصت ، فارتحل الى منفوحة . ودارت مراسلات بينه وبين خالد بن سعود للاتفاق على الصلح ، ثم اجتمعا في مكان اتفقا عليه ، فلم يتوصلا الى شيء لأن الامام أصر على استقلال نجد ، وقال انها لا تقبل سيادة مصر ولا تريد ان تكون تبعاً لها ، وهو ما كان خالد ينادي به .

حملة مصرية ثانية

ووصل في تلك البرهة اللواء خورشيد باشا على رأس حملة عسكرية ثانية الى ينبع ، وأرسل الى الامام هدايا مع دعوة الى الاستسلام ، فانتدب أخاه اجلوي ، فقابله في المدينة وقدم له هدايا حملها من أخيه ، وأقام الى جانبه ورافقه حتى عنيزة ، ثم استأذنه طالباً السماح له بالذهاب الى «بريدة» لبعض شؤونه ، فأذن له ، فقصد الحرج حيث كان أخاه ، فأبلغه ان القوم يأتمرون به ويستعدون لقتاله .

وقاد خورشيد حملته الى الدلم لمنازلة الامام ، فدارت معركة استمرت أياماً بذل كل منهما جهده للفوز فيها ، وكانت الغلبة في النهاية للمصريين لأنهم أكثر سلاحاً ومعدات .

ورأى الامام بعد كل ما جرى ، وكانت النجيدات ترد تباعاً الى اعدائه من جميع الجهات ، انه لا فائدة ترجى من مواصلة القتال ، وان السلام افضل ، فأوفد مندوباً الى خورشيد طالباً الصلح ، فرحب به وقال انه مستعد لقبول جميع طلباته ، بشرط ان يسافر الى مصر ويقيم فيها الى جانب اهله .

ووقع على الاتفاق يوم ١٣ رمضان سنة ١٢٥٤ ، فسكنت ربيع الحرب ، وفدى فيصل البلاد بنفسه ووقاها شر الحراب والدمار وإراقة الدماء ، فضرب بعمله وتضحيته احسن الامثال على العقل والساد .

وهكذا انتهى الدور الأول من عهده ، على ان غيابه لم يطل ، فما أسرع ما جلا المصريون عن البلاد ، وما أسرع ما عاد اليها ، فرحبت به أصدق ترحيب .

اتفاق الجبل وعمر جزيرة العرب

وضع محمد علي يده على الاقطار الاربعة التي استولى عليها في جزيرة العرب وهي : الحجاز ، ونجد ، وعسير ، وتهامه ، وحكمها حكماً مباشراً بواسطة ضباطه ، ولم يعدها الى السلطان وقد فتحها باسمه وحسابه ، وكان يتعاون في ادارتها بالدرجة الاولى مع خصوم آل سعود .

وشجعت نتائج حملته الى بلاد العرب ، فانطلق يعتدي على جيرانه وكان السودان في المقدمة ، فأرسل اليه في سنة ١٨١٩ اي في السنة التالية لانتهاه الاعمال العسكرية في نجد ، حملة عسكرية للاستيلاء عليه وضمه إلى حكومته ، غير مقيم وزناً لحكومة الاستانة صاحبة السيادة عليه ، وما كان يوليها شيئاً من الحرمة لما يعرفه من ضعفها ، ولما يشعر بنفسه من القوة .

وقيل في تحليل اسباب هذه الحملة ، انه عرف بأن في السودان مناجم من الذهب ، فأراد أن يفوز بها . أما الاسباب الرسمية التي أعلنها ، فهي وجود فريق من المماليك لجأوا اليه ، فأراد القبض عليهم .

وقاد الحملة الى السودان نجده احمد طوسون ، وهو الذي قاد الحملة الاولى الى بلاد العرب ، ولئن عاد منها سالماً فقد خسر حياته في الثانية ، فأحرقته قبيلة الجعليين وهو حي . على ان الحملة ادركت غرضها فضمت السودان الى بلادها .

واستنجد به السلطان ، طالباً منه ارسال جيشه واسطوله الى اليونان لاختاد ثورة الشعب اليوناني الذي نهض يطلب الحرية والاستقلال ، فأرسلها وخاض معارك عنيفة مع الشعب اليوناني كلفته الكثير كما قلنا آنفاً .

وأغرت هذه الانتصارات وقد كونت له دولة منسعة الحدود ، كثيرة السكان ، غزيرة الموارد ، وضمنت له السيطرة على اقطار ما كان يحلم بالوصول اليها ، فراح يمد يصره نحو الشمال نحو بلاد الشام يريد ان يضمها اليه ، مستغلاً فرصة ضعف الدولة العثمانية التي هدت قواها الحروب المتتابة والفتن المتواصلة ، فأفقرت خزينتها ، وزادت في ارتباكاتها .

واغتتم فرصة خلاف موضعي بسيط نشأ بينه وبين عبد الله باشا محافظ عكا (سنة ١٢٤٦) وكانت قاعدة فلسطين الادارية والمسكوية ، فأرسل حملة بقيادة ابراهيم باشا ، فاكتسحت قطر الشام من جنوبه الى شماله ، خلال فترة قصيرة ودون مقاومة تذكر بسبب انضمام ابناء الشام اليه ، فقد استسلمهم بشعاراته ومناداته انه جاء يعمل لتأسيس امبراطورية عربية كبرى ، فأقبلوا عليه وايدوه ، رغبة بالخلاص من الحكم التركي وكانوا له كارهين ، وبالخلاص منه طامعين .

ولم تقف الحملة المصرية عند حدود بلاد الشام الشمالية ، اي عند جبال طوروس الجنوبية ، بل اقتحتتها واوغلت في الاناضول وواصلت التقدم حتى «كوتاهية ، مهددة العاصمة نفسها (الاستانة) ، فوقفت عندها ، بسبب وساطات دولية بذلت ، ولولا ذلك لما كان هنالك ما يمنعها من دخولها وهي لا تبعد عنها اكثر من ٢٠٠ كم جنوباً .

وزلزل وصول الحملة الى قلب الاناضول الجنوبي ، وتهديدها العاصمة ،

الدولة وهزها هزة عنيفة حتى خيف من انهيارها ، وحاول محمد علي في قصر
« ضوله بعبه » محل السلطان محمود الثاني .

وحسبت دول اوروبا الكبرى حسابها ، وكان الاستثمار في ابتداء عهده
ومطلع شبابه ، فاعتقدت ان سيطرة مصر على السلطنة وضماها الى بلادها يزيدنها
قوة ويجول بينها وبين الاستيلاء على الاقطار التي تطمع بالاستيلاء عليها من
بملكات السلطنة .

ودارت مكاتبات بين حكومات انكلترا ، وروسيا ، والنمسا ، وبروسيا ،
وكانت تؤلف الدول الكبرى في ذلك العصر .

فتم الاتفاق بينها على عقد مؤتمر دولي لمعالجة المشكلة ، وعقد في لندن في
شهر حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٠ واشتركت فيه حكومة الاستانة نفسها ،
فكان اول مؤتمر دولي يعقد لمعالجة قضايا الشرق العربي ، كما كانت المرة الاولى
تتدخل فيها دول اوروبا بشؤون هذا الشرق في العصر الحديث ^(١) .

ولقد كانت للمؤتمر غايات محدودة ، واغراض مرسومة تدور ضمن الاطار

الآتي :

١ - الابقاء على الدولة العثمانية حية سليمة .

٢ - حرمان محمد علي من انتصاراته .

٣ - اعادة الاراضي والاقطار التي استولى عليها الى الدولة صاحبتها الاصلية .

٤ - اعادة مصر نفسها الى السيادة العثمانية .

وأفرغ المؤتمر هذه المطالب بشكل قرار اثبتناه بنصه لماله من الامة

التاريخية .

« المادة الاولى - اتفق السلطان مع ملكة بريطانيا ، وامبراطور النمسا
والجر وبوهيميا ، وملك بروسيا ، وقصر روسيا ، على شروط التسوية التي

(١) لم تشترك فرنسا في هذا المؤتمر لأنها كانت تؤيد محمد علي .

تريد الدول ان تمنح لمصر ، وهي مثبتة في الفصل الملحق بهذه المعاهدة .
ويتعهد اصحاب الجلالة ان يعملوا متحدين وبأن يوحدوا مجهوداتهم لاكرام
مصر على ان تتبع هذه التسوية ، ويتعهد كل فريق بأن يساعد على بلوغ هذا
الغرض ، تبعاً للوسائل التي يستطيع استخدامها في هذا السبيل .

المادة الثانية - اذا رفضت مصر التسليم بهذه التسوية التي تبلغ اليها من لدن
السلطان بمعاونة اصحاب الجلالة ، فان هؤلاء يتعهدون بأن يتخذوا بناءً على
طلب السلطان ، الوسائل المتفق عليها بينهم حتى يتم تنفيذ التسوية . وقبل ذلك
يدعو السلطان حلفاءه لمعاونته على قطع المواصلات البحرية بين مصر وسورية
والى ارسال السلاح ومعدات الحرب من كل نوع .

ويتعهد اصحاب الجلالة بأن يصدروا اوامرهم اللازمة الى قواتهم البحرية في
البحر المتوسط ويعدونها فوق ما تقدم ، بأن يقدم قواد اساطيلهم طبقاً للوسائل
المتوفرة لديهم ، كل تأييد ومعاونة في امكانهم ، وذلك لرعايا السلطان الذين
يعربون عن اخلاصهم .

وهذا هو الملحق الذي اشير اليه في المادة الاولى :

« امانة الاولى - يعد السلطان بأن يمنح محمد علي وسلالته المباشرة من بعده
ادارة «باشاوية» اي مقاطعة مصر ، وبعد بأن يمنحه مدة حياته باشاوية «عكا»
مقاطعة فلسطين ، مع قيادة قلعة عكا وادارة الجزء الثاني من سورية (جنوبي
لبنان) الذي يحدد فيما بعد ، على شرط ان يقبل هذه المنح بعد تبليغه اياها في
الاسكندرية على يد مندوب من جانب السلطان .

وعليه بأن يسلم الى هذا المندوب التعليمات اللازمة لقواد البر والبحر
لينسحبوا من بلاد العرب ، ومن المدن المقدسة ، ومن جزيرة كريت ، ومن
الاجزاء الاخرى من املاك السلطنة الخارجة عن حدود مصر وحدود باشاوية
عكا كما عينها .

المادة الثانية - اذا لم يقبل هذه التسوية في مدة عشرة ايام يسحب السلطان ادارة باشاوية عكاه على ان يظل راضياً بمنح محمد علي وسلالته المباشرة حكم مصر بالتوارث ، بشرط ان يقبل هذه المنحة في مدى عشرة ايام تالية للعشرة الاولى اي في مدة ٢٠ يوماً تتبدىء من اليوم الاول الذي يتلقى فيه البلاغ ، وعلى شرط ان يسلم لندب السلطان الاوامر اللازمة لقواد بريته وبجربته بأن ينسحبوا حالاً .

وبلغ الاسكندرية يوم ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٨٤٠ رفعة بك مندوب السلطان ، وزار ، ومعه قناصل الدول الاربع ، محمد علي وابلغه المعاهدة ، فأجاب ان ما اخذه بالسيف لا يعيده الا بالسيف ، فأملوه عشرة ايام فطلب اليهم أن يكون البلاغ تحريراً ففعلوا ، وقالوا له ان فرنسا عاجزة عن مساعدته ، وان الدول مصممة على تنفيذ قرارها ، ولو ادى ذلك الى حرب اوروية .

وجاء مندوب السلطان ومعه القناصل بعد انقضاء الايام العشرة الاولى لاخذ الجواب ، فكان الرفض فقالوا له انه لا حق له بعد الآن إلا بولاية مصر ، ثم امهله العشرة الايام الثانية .

ودعا محمد علي ، عقب هذه المقابلة ، رفعة بك المندوب التركي واقترح عليه ان يحل الخلاف بينه وبين السلطان مباشرة على ان تكون له ولورثته بعده مع حكم سورية مدة حياته ، ورفض السلطان والدول المتحالفة العرض واتفقوا على حرمانه من ولاية مصر .

ووصل اسطول بريطاني يتألف من ٨ بوارج يوم ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٤٠ الى عرض الاسكندرية وارسل قائده الاميرال فايير انذاراً الى الحكومة المصرية بوجوب التسليم ، فدارت مباحثات وتقرر بعد اخذ ورد استمر خمسة ايام ، ان يستسلم محمد علي للحلفاء ويجلوا عن جميع اراضي السلطنة ، ما عدا مصر فانها تبقى في عهده ، وان يبقى هذا الحق مكفولاً

من الدول .

واصدر السلطان يوم ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٨٤١ مرسوماً باسناد باشاوية مصر اليه ، وتم الجلاء المطلوب .

وهكذا انتهى حكم محمد علي لجزيرة العرب ، فقد كانت من جملة الاقطار التي شملها ذلك القرار، فجلت عنها جيوشه سنة ١٢٥٦ بعد احتلال أساء اليها وحمل اليها النكبات والبلايا والامراض .

عورة الامام فيصل الى نجد

والآن وقد انتهى كل شيء ، وتقلص الحكم المصري عن بلاد العرب كلها ، لا عن نجد وحدها ، فقد صار في امكان الامام فيصل ان يعود الى قومه والى عرشه بعد ان زال المانع ، وتحررت البلاد من أسوأ حكم فرض عليها .

ويقول ابن بشر في تاريخه ، ان الامام فيصل وصل الى نجد في اوائل سنة ١٢٥٩ ومعه اخوه جلوي ، وابن عمه عبد الله ، وابنه ابراهيم ، وانهم نزلوا مدينة حايل في الشمال فاستقبلهم اميرها عبد الله بن علي بن رشيد بالحفاوة ، وقدم له الرجال والمال ، وارسل الرسل الى رؤساء البلاد وامراتها مبشراً بوصول الامام وصحبه ، وكان اهل عنيزة اول من استجاب فأرسل عبد الله بن سليمان بن زامل رئيسها رسولاً الى الامام يدعوه لزيارته .

وكان في الرياض يومئذ عبد الله بن ثنيان يتولى امرها - اقامه المصريون حين جلائهم ، فلما علم بوصول الامام خرج مع انصاره الى بريدة يريد المقاومة ، فلما تبين عجزه عاد الى الرياض لكي يعد معدات الكفاح .

تايد شمي كبير

وواصل الامام العمل واتصل برؤساء البلاد ، فأقبلوا عليه وجددوا له البيعة فغادر غنيزه الى الرشم فبايعه اهله ، فجاء الى حريملا واقام فيها اياماً والوفود تصل اليه تباعاً تحمل البيعة والطاعة . وارسل منها الى ابن ثنيان يدعوه الى المصالحة وحقن الدماء ضمن الشروط الآتية :

- ١ - يغادر الرياض مع انصاره وامواله ويقيم في اي مكان شاء وأراد .
 - ٢ - يكون له من الحراج سنوياً ما يكفيه .
- ورفض العرض وأصر على المقاومة .

وجاء الامام الى سدوس ثم الى منفوحة حيث أخذ يوالي الاتصال سرّاً بانصاره في داخل الرياض ويتفق معهم على طريقة العمل لانقاذها .

وقاد جلوي قوة اقتحمت الرياض ليلاً طبقاً للاتفاق المعقود مع رؤسائها واستوات عليها دون مقاومة وتحصن ابن ثنيان بالقصر .

وجاء الامام ودخل الرياض دون مقاومة .

وارسل ابن ثنيان ، بعد حصار استمر ٢٠ يوماً يطلب الصلح فارسلوا اليه عبيد بن الرشيد للمفاوضة فلم يتفقوا ، وبشاء القدر ان يخرج متخفياً من القصر ليلاً فعرفه احد رجال فيصل ، فأمسكه وجاء به اليه ، فأخذ سلاحه وسجنه ، وغفا عن الرجال الذين كانوا معه وتسلم القصر ، وشرع يجدد بنيان الدولة .

العودة الى الخليج

وغزا فيصل ، بعد ان استتب له الأمر ، القطيف وأعاد آل مرة الى حظيرة الطاعة . ثم انتقل الى الدمام وكاث هنالك رؤساء البحرين (عبدالله بن خليفة واولاده) فحاصروهم ١٢ يوماً ، فطلبوا المصالحة فأبى إلا ان يستسلموا بدون

قيد ولا شرط ، فاستسلموا فأطلقوا مراحمهم بعد ما اخذ اموالهم واقام حامية رابطت في قصر الدمام .

وسار بعد ذلك الى الحسا واستقبل فيها رؤساء عمان وارسل اليها سرية بقيادة المطيري وقاضياً هو ناصر بن علي العربي .
واستقرت الامور في داخل نجد ، وعادت للدولة هيبتها وللبلاد أمنها .

ولحق الامام بربه يوم ٢١ رجب سنة ١٢٨٢ راضياً مرضياً بعد حياة حافلة قضاها بالكفاح والنضال ، وبعد أن أعاد لنجد وحدتها ، وللدولة هيبتها ، وللبلاد استقرارها .

منشور الامام فيصل

وتنختم هذا الفصل باثبات المنشور الذي اذاعه على اهل نجد بعد بيعته يدعوم فيه الى طاعة الله واتباع اوامر الدين ، ويجدد سياسته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي الى من يراه من المسلمين سلمهم الله تعالى :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فموجب الخط ابلاغكم السلام لا زلتم في خير وعافية . والذي اوصيكم به تقوى الله تعالى في الغيب والشهادة ، والعمل بما يرضيه وتجنب معاصيه ، والمعادة والموالاته فيه قال تعالى « تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » ، وأم الامور تعلم ما فرضه الله تعالى من معرفة اصل دين الاسلام واركانه وواجباته وجميع شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة وقوام ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . لا بد في كل ناحية من طائفة متصدنين لهذا الامر كما قال الله تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وقال تعالى « ولتكن منكم امة يدعون

الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ، .

وانا ملازم كل من يخاف الله تعالى ويرغب في الفلاح ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان يكون الامر مراعياً للشروط في ذلك بأن يكون عليمًا فيما ينهى عنه حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه . رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه .

وألزم كل امير ان يكون عوناً لهم وهم خاصته في الحقيقة ، عون له على ما حمّله الله تعالى من الامانة .

وليكن لديكم معلوماً ان دافع الجوائز عن المسلمين الحاضر والظاهر اذا كانوا معروفين باداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة فهي راجعة اليهم على الوجه المشروع ان شاء الله تعالى . والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجماع عليه . وقد رأيتهم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة ، وما في التفرق من الشر في امر الدين والدنيا ، وأسأل الله ان يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدنيا والآخرة .

بين الامام فيصل والانكليز

يقول «لوريمر» الانكليزي ، مؤرخ الخليج ان الامام فيصل ترامل عام ١٤٧١ (١٨٥٥) مع المعتمد البريطاني في الخليج ، وأن الامام أشار في رسالته بارتياح الى «التفاهم الذي دام بيننا وبين الحكومة البريطانية بشأن سلامة التجار والمسافرين المارين بالبحر» .

الحرب مع مسقط

وأوردت التقارير السرية لحكومة الهند ، الاخبار الآتية :

في سنة ١٨٥٢ ، نشبت الحرب بين نجد ومسقط ، وانتهت في آخر سنة ١٨٥٣ بعقد اتفاق هذه قواعده :

١ - تدفع مسقط للدولة السعودية اتاوة سنوية قدرها ١٢ الف ريال ، وتدفع صغار ثمانية آلاف ريال .

٢ - تدفع مسقط ٦٠ الف ريال اتاوة متأخرة .

٣ - تقدم بعض المؤن والذخائر .

٤ - قطل الحدود بينهما كما كانت^(١) .

اول خلاف بين حكومة الامام والانكليز

وأوردت وثائق حكومة الهند النبأ الآتي :

« في شهر اغسطس سنة ١٨٦٥ ، استوت قبيلتا ابو علي والجنبه على مدينة «صور» جنوبي شرقي مسقط ، وألحقنا اضراراً بالرعايا الهنود والانكليز ، فأرسل المقيم البريطاني احتجاجاً باسم حكومته الى الامام فيصل والى نائبه في البريمي (أحمد السديري) .

وخولت الحكومة البريطانية معتمدها بأن يتخذ مع الضابط البحري الاعلى ، ما يريانه لازماً من التدابير بغية التوصل الى ايجاد تسوية بين الامام وسلطان مسقط . بيد انها لم تصرح له ان يتخذ أي اجراء عسكري .

وفشلت المحاولات التي بذلت للتوفيق ، فأرسل قائد الاسطول البريطاني يوم ٦ يناير سنة ١٨٦٦ انذاراً الى الامام عبدالله (حل محل والده الامام فيصل الذي توفي يومئذ) ، يطلب منه ان يقدم اعتذاراً خطياً خلال شهر واحد عن حادث صور المذكور . ولما انقضى الموعد ولم يصل الاعتذار ، دمر الاسطول

(١) أورد مؤلف كتاب «عقود الجمان» هذا النبأ على الوجه الآتي :

« كانت قضية العلاقات مع مسقط ، احدى القضايا الرئيسية التي جابهت عبدالله بن فيصل حينما وفد الى البريمي نائباً لوالده ، وقد ذكرت عدة أمثلة عن استعداد سعيد بن سلطان وابنه ثويني لمهاجمة النجديين كما وجدوا فرصة مناسبة لذلك . وكان هناك موضوع العقوبة التي يجب ان تنال ثويني جزاء غدره اللفظ برئيس سحار عندما رفض الاضام الى الاعمال العدوانية ضد البريمي . وكان في استطاعة عبدالله أن يطالب ويحصل على أية شروط ، ولكنه اكتفى باتفاقية خالية من الشدة بشكل واضح ، فقدت معاهدة هجوم ودفاع بين الدولة السعودية ومسقط ، قضت بأن تدفع مسقط افاوة سنوية مقدارها ١٢ الف ريال ، بالإضافة الى مبالغ متأخرة مقدارها ستون الف ريال .

«وتتمس على التزود العادي بالمؤن والامدادات» وتماهد الرئيس السعودي كما جاء في غننرات «جياي» مقابل هذا ، أن يساعد ثويني في ساعات الشدة . وبقيت الحدود كما كانت عليه سابقاً » .

البريطاني في الخليج أبراج صور والسفن النجدية في مينائها (فبراير سنة ١٨٦٦)،
وأُنزل عقوبة شديدة بالقبائل الموالية لنبعد ، وخرب مراكز النجديين في
الدمام .

وتلقى المعتمد البريطاني في أواخر شهر فبراير ، رسالة من الامام عبدالله
مؤرخة في ٢٨ يناير سنة ١٨٦٦ ، حملها مندوب وصل الى «بندر بو شهر» في
٢١ ابريل سنة ١٨٦٦ ، وهناك أفضى بالتصريح الآتي الى الكولونيل بلي :

« أنا محمد بن عبدالله بن مانع ، واثق من النقط الآتية :

١ - انني محول من الامام عبدالله بن فيصل ، ان اطلب من صاحب المقيم
في الخليج الفارسي ، ان يصبح وسيط صداقة بين الامام عبدالله بن فيصل وبين
الحكومة البريطانية .

٢ - وانني أؤكد للمقيم في الخليج الفارسي ، نيابة عن الامام عبدالله بن
فيصل ، بأن الامام لن يعارض أو يؤذي الرعايا البريطانيين المقيمين في الاراضي
الواقعة تحت سلطته .

٣ - وأؤكد للمقيم في الخليج الفارسي ، نيابة عن الامام عبدالله بن فيصل
ان الامام لن يتلف او يهاجم اراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة
البريطانية ، لا سيما بملكة مسقط ، بخلاف تلقي الزكاة التي هي عادة منذ القدم .

« كتبت هذا بيدي في «بوشهر» يوم السبت الخامس من ذي الحجة سنة ١٢٨٠
(٢١ ابريل سنة ١٨٦٦) (١) » .

(١) حاول الانكليز أثناء المناقشات التي دارت بينهم وبين السعوديين حول مشكلة «البريمي»
أن يستندوا الى هذا التصريح ، فأجاب المندوب السعودي انهم لم يعثروا على أساس له في عفوظات
الحكومة السعودية .

جواب حكومة الهند الى الامام

ثم قالت التقارير السرية لحكومة الهند :

وقبلت حكومة الهند هذا التصريح واكتفت به ، وارتاحت اليه . وأرسلت
المعتمد الى الامام عبدالله كتاباً ، هذا ما جاء فيه :

« تلقيت كتاب سموكم الودي من يد خادمكم الأمين محمد بن عبدالله بن
مانع وحاشيته .

لقد صرحتم بأنكم ترغبون في السلام ، وسلمني مندوبكم ورقة ، أبعث طيه
بنسخة منها ، بعد موافقة حكومة جلالته عليها .

وإذا حدث ونشأت صعوبات فيما بعد ، حول ما تدفعه مسقط من الزكاة
لكم ، فان الحكومة البريطانية ، لا تريد ان تتدخل في الامر ، وان تصبح
كفيلاً في مسألة تهكم انتم والسلطات ، ولكنها لا تمنع في استخدام وساطتها
لوضع تفاصيل اتفاق بينكما . وقد أبلغني مندوبكم انه في حالة ما اذا نشأ مثل
هذا الامر ، فانكم ستكتبون إليّ وتطلبون وساطتي .

إني أمل أن يصلكم كتابي هذا وأنتم بخير . وإذا كانت لديكم أية صعوبة
فارسلوا لي مندوباً أميناً ، وسأكون مسروراً دوماً لمقابلة مندوبيكم مقابلة
ودية كما جرى مع محمد بن عبدالله بن مانع ، .

اول معتمد بريطاني يزور الرياض

في سنة ١٨٦٣ (١٢٨٠) عينت الحكومة البريطانية اللغتننت كولونيل لويس
بلي معتمداً لها في الخليج ، فجاء الى بندر « بوشهر » وأمضى فيها تسع سنوات
حيث مثل كثيراً من الادوار السياسية على مسرح الاحداث هناك .

وتقول التقارير السرية لحكومة الهند انه حدثت بعض خلافات بين الموظفين السعوديين في الخليج ومثلي بريطانيا، فرأى «بلي» هذا ان يزور الرياض ويجتمع الى الامام فيصل ويتحدث اليه . ثم تقول ايضاً ان زيارته كانت خاصة وشخصية قام بها دون تفويض مسبق من حكومتي الهند ولندن بأذن له باجراء اي مفاوضات خلافاً .

وكانت المرة الاولى يوغل فيها معتمد بريطاني داخل جزيرة العرب ويصل الى الرياض ، وقد بلغها في شهر شوال ١٢٨١ (مارس سنة ١٨٦٥) وذلك في أواخر عهد الامام فيصل ، فقد توفي في شهر رجب من العام الثاني اي بعد سبعة اشهر من وصول المعتمد .

وقد أعد « بلي » تقريراً مطولاً عن هذه الزيارة طبعه ونشره وهو متداول معروف .

ويقول في تقريره هذا : « لقد كان هدفي من الزيارة في الدرجة الاولى اقامة علاقة صداقة مع الحاكم السعودي . فقد شعرت واثقاً بأنه اذا ما استطعت ان أعيد اقامة العلاقات مع حاكم كفيصل ، فاننا نستطيع ان نتوقع فائدة من نفوذه على رؤساء الساحل دون ان نخشى ان هذا النفوذ سيبدل في اتجاه يتنافى والاتجاه التمديني » .

وقال الكولونيل للامام حين مغادرته الرياض : « واني لأرجو ان اغادر الرياض وانا على مودة واتفاق مع الشعب السعودي وان يكون هناك ما يبشر بايجاد علاقات اكثر وداً مع حكومة الهند ، واني لأرجو ان تسمح لي الفرصة للقيام بخدمة ودية وغير رسمية من اجل تسوية العلاقات بين الرياض ومسقط » .

واعاد الكولونيل تقريراً عن زيارته وقال فيه ، انه لم تداري مفاوضات مع الامام بشأن عقد أي معاهدة او التوصل الى تفاهم ما . وان الامام اعرب عند الوداع عن رغبته في ان ارجع اليه اذا ما وقعت حوادث قرصنة او اعمال تحطيم السفن او اغراقها في القطيف او العقير كي ينزل اشد العقاب بالمعتدي ،

كما طلب الي ان اهتم بصيانة الامن في الخليج . وقال ايضاً ، ان هذه الزيارة ستفتح صفحة جديدة من العلاقات بيننا وبينه ، وانه اصدر تعليمات بذلك الى عماله في منطقة الساحل .

وجاء في التقرير ايضاً : « ان الامام قال لي في احاديثي معه ، ان القسم الشرقي من بلاد العرب من الكويت الى رأس الحيمة خاضع له . وإن ارض بلاد العرب هذه الممتدة من الكويت الى القطيف فرأس الحيمة ، فعمان فرأس الحد وما وراءها هي ارض منحني الله اياها . »

وقال الكولونيل ايضاً : « ولقد لاحظت ان الدولة السعودية تسيطر على الساحل الغربي للخليج وساحل عمان ، وكانت تتقاضى الزكاة تقديماً او عيناً من شيوخ البحرين ، وأبو ظبي ، ودبي ، وام القيوين ، والمعجمان ، والشارقة ، ورأس الحيمة . وتحتفظ بمرکز عسكري امامي في البريمي الممتدة بين مشيخات اولئك الزعماء وبين سلطنة مسقط التي تدفع الزكاة للامير . »

هذا كل ما حفظته واوردته التقارير السرية لحكومة المند عن هذه الزيارة وما دار فيها ، ولقد عثرنا في مصادر اخرى على معلومات اوسع وهي كما يأتي :
جاء في تقرير « بلي » ص ١٥٠ « ان جميع الاطراف اعترفت بان الامير فيصل بن سعود هو حاكم شديد عادل لم يسبق له مثل في النجاح ، يكسب جماع قبائله ، كما يود ان يزرع بينهم عادات المتحضرين ، وان يوجه افكارهم نحو الزراعة والتجارة ، »

وجاء فيه ايضاً « ان بلي ابلى الامام فيصل انه ليس للحكومة البريطانية اي غرض فيما يختص بقبائل جزيرة العرب ، سوى ان ترام يعيشون في سلام ورخاء في حدود ديارهم وتحت سلطة حكامهم . »

وجاء فيه ايضاً (ص ٥١ - ٥٢) « وكان الامام دائم الحديث عن نفسه بصيغة الجمع ، واعتبر جزيرة العرب تقريباً مملكة له وقال : « ان ارض جزيرة العرب هذه من الكويت عبر القطيف ، ورأس الحيمة وعمان ، ورأس

الحد وفيها وراءها هي منحة لنا من الله. ثم قال: «وان مسقط تؤذي لنا الاثاوة وقد استولينا عليها بقوة السلاح ، وكان سلطان مسقط سعيد المتوفي يفهم الامرر ويقوم بما يجب ولكن .. نوبني كان يختلف عن ذلك ويجب قهره بالقوة » .

وقال له الامام ايضاً : « لتكن جزيرة العرب مها كانت فهي لنا . وقد نسأل كيف باستطاعتنا ان نظل هكذا منغزلين عن سائر العالم ، ومع هذا فنحن قانعون . اننا أمراء بطبيعتنا على قدرنا . اننا نشعر بأنفسنا ملوكاً في كل شيء . وقال ان خطته هي ان يضرب بشدة على أيدي رؤساء القبائل حين يقوم أتباعهم بالسلب والنهب ، أو يرتكبون جرائم اخرى » .

وفي نهاية الزيارة قال محبوب بن جوهر ، أحد افراد حاشية الامام (وليس كاتبه كما ظن بلي خطأ) ان الامام قد خوله سلطة عرض معاهدة تبادل تلزمه بمنع عرب عمان والخليج من ارتكاب اعمال السلب او الاضرار بمنشأتنا البرقية ، فرفض العرض ولم يبيحه .

وفي ملحق لتقريره عن رحلته ، يورد قائمة باسماء القبائل الخاضعة للدولة السعودية ، وقيمة الزكاة التي تدفعها كل منها .

معاهدة صداقة ومودة

ويقول جلالة الملك عبد العزيز في المحادثة التي دارت يوم اول ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ بينه وبين السر أندرو ربات الوزير البريطاني المفوض في جده (الجلسة الثانية) ما يلي :

« اذا كانت الحكومة البريطانية تريد الحجة والبرهان ، فان لديها الحجج الواضحة ، فان الذي بيني وبينها هو ان ما كان آبائي وأجدادي في الخليج العربي يمتنونون أنا اجتنبتهم ، وما كانوا يعملونه أنا عملهم ، فان كانت الحكومة البريطانية تريد هذا ، فأنا مستعد له .

«ثم انه سبق أن كان بين جدي فيصل وبين مندوب الحكومة البريطانية وممثلا في الخليج الفارسي الكولونيل (بلي) ، معاهدة مدتها ٦٢ سنة ، لم تنته مدتها إلا قبل سنتين ، فلتخرجها الحكومة البريطانية من خزائنها ، ولتعمل بموجبها وهي قبل اتفاقها المزعوم مع الحكومة التركية» .

(الوثيقة رقم ٧ من وثائق التحكيم في قضية البريمي)

اخبار أخوى عن الخليج

وأوردت التقارير السرية خبراً آخر عن الخليج ، وهو :

«وطدت تركيا مركزها في امارة قطر سنة ١٨٧١ ، وظلت تسيطر عليها حتى سنة ١٩٠١ ، ولم تعترف انكلترا لتركيا بهذه السيطرة ، وظلت المراسلات تدور بينهما سحابة هذه المدة» .

عبد الامام عبد الله بن فيصل

طبقاً للقاعدة المتبعة في البيت السعودي ، بويع عبدالله النجل البكر لفيصل بالامامة يوم وفاته (رجب سنة ١٢٨٢ ، يونيو سنة ١٨٦٥) فالنت حوله الامة وأيدته .

ولقد كان الامام عبدالله اليد اليمنى لأبيه سحابة حركته ، وكان ينتدبه للمهمات فينهض بها على اكمل وجه ، وقد تولى امر القسم الشرقي من المملكة فأداره واحسن ادارته ،

وكان للامام فيصل حين وفاته ثلاثة اولاد غير عبدالله وهم : سعود ، ومحمد ، وعبد الرحمن ، وكان الاول يتولى اماره الحرج والافلاج ، والثاني اماره الشمال ، والثالث يعمل مساعداً لآخيه الاكبر ، وقد تولى اماره الرياض في عهد والده .

وكان سعود بنفس على اخيه الاكبر فوزه بالحكم ويطمع في انتزاعه منه ويرى نفسه اكفأ منه لتقلده . وعرف ابوه ما يجول في خاطره ، فولاه اماره

الخرج والافلاج يرجو ان يخفف البعد من موجدته على اخيه، فما أفاد ذلك وما اجدى ، فانه ما كاد الوالد يطبق اجفانه حتى رفع راية الثورة والانتفاض ، فكان ذلك بدءُ الحرب الاهلية التي استمرت نحو ٢٥ سنة فحرمت نجداً الاستقرار وأنتهت في لجة الفرصى ، واضعفت هيبة الدولة وسلطانها ، فانتفض عليها الامراء ، وتسلط عليها آل الرشيد في حابل ، ووضعوا يدهم عليها في ظروف دقيقة وصعبة .

عوامل الخلاف وأسبابه

ويمكن اجمال هذه العوامل على المنوال الآتي :

- ١ - اشتداد الخلاف والجفاء بين سلائل تركي بن عبدالله بن محمد سعود الذين نهضوا بالحكم واحيوا الدولة بعد كارثة الدرعية ، وبين ابناء عمومتهم سلائل سعود بن محمد بن عبد العزيز بن محمد سعود ، فقد نهض هؤلاء يطالبون بالحكم باعتبار انه كان في بيتهم ، وأبى آل تركي الاعتراف لهم بأي حق من هذه الناحية ، وقالوا ان جددهم هو الذي جدد الدولة وبعثها من مرقدها ، وهم ورثته واهله .
- ٢ - اشتداد الخلاف بين ابناء فيصل انقسم بعد وفاة والدهم وتقدم السلاح يقاتلون به بعضهم بعضاً .
- ٣ - اعلان امراء المقاطعات وشيوخ القبائل الانفصال والانتفاض ، مستغلين فرصة هذه الانقسامات بين الاسرة السعودية .
- ٤ - ضعف موارد الدولة المالية بسبب الجفاف الذي استحكمت في تلك السنوات ، وبسبب الفتن التي اشغلت الناس وازعجتهم .
- ٥ - تقور شعب نجد من هذه الفتن التي ذهبت بالكثيرين من ابناءه قتلاً وتشريداً ، وكلفت الكثير من الاموال ، وكان في اشد الحاجة الى الهدوء لتضيد جراحات الاحداث الماضية التي لم تك قد اندملت تماماً .

تلك هي في نظرنا مجموع العوامل التي اضعفت الدولة وجعلت امامها يستنجد
تارة بالترك ، واخرى بال الرشيد ما لم يكن عنه شيئاً في النهاية ، فضعفت
الدولة ثم انهارت . ولكن هذا الدور لم يطل فقد بعثها ووجد شبابها شبل من
اشبال آل تركي فسمها الى قمة المجد والعلاء . .

كيف بدأت الحرب الاهلية

لم يبايع سعوداً اخاه مع المبايعين بل اتجه رأساً الى عسير ونزل على آل
عايض حكماها يطلب العون والمساعدة في محاربة اخيه زاعماً انه اهانه ولم
يرع حقه .

وحاول الامام عبدالله ، وكان عاقلاً رزيناً، ان يتفاهم مع اخيه وان يرضه ،
فأوفد رسولاً الى عسير يحمل كتاباً رقيقاً منه الى اخيه يناشده فيه الاخوة
والمروءة ان يعود للرياض ، وبعده بأن ينيله كل ما يطلب ويريد .

وحمل الرسول كتاباً آخر الى ابن عايض من الامام يرجوه فيه ان يتفهم
اخاه بالرجوع اليه « فقد ابتعد عنه بدون اي سبب عاملاً على قطع الارحام » .

وأصرّ سعود على تنفيذ خطته ، وغادر عسير بعد ان نقض يده من مساعدة
آل عايض ، متجهاً الى نجران يستنصر صاحبها السيد ، وهو في الاصل عدو لبيته
ويستصرخه لينصره ، فوعده بالنصرة ، وكذلك كان شأن شيوخ آل مرة ،
فقد انضموا اليه ، فخرج على رأسهم يريد الرياض .

وأعد الامام ، وما كان غافلاً عما يدبر ، حملة قادها اخوه الآخر « محمدآء ،
سارت حتى بلغت مكاناً اسمه «العلاء» وفيه دارت اول معركة في سلسلة الحروب
الاهلية ، انتهت بهزيمة سعود والذين معه بعد ان اصيب مجروح في يديه
ورجله ، فلبأ الى آل مرة في المنطقة الشرقية واقام بينهم حتى برأ من جراحه ،
فاتجه الى عمان واقام فيها نحو سنتين يواصل اعداد المعدات لاستئناف الكرة .

معارك الخليج

وارسل الامام في السنة التالية ١٢٨٤ اخاه محمداً الى الحسا على رأس حملة نكلت بالمعجمان الذين ايدوا سعوداً . وقاد بالذات حملة اخرى الى وادي الدواسر للتكامل بمربانه لأنهم ايدوه ايضاً . واستأنف الكرة في السنة التالية ، فذهب الى الحسا وقضى فيها نحو اربعة اشهر يرقب الحالة ، ثم عاد الى الرياض بعد ما اقام فيها قوة للدفاع عنها ، وترك مثلها في قطر للغاية ذاتها .

وتجه سعود بعد ما استرد صحته ، وبرأ من جراحه ، الى البحرين ينشد المعونة والمساعدة عند آل خليفة ، وانضم اليه وهو هناك محمد بن عبدالله بن ثنيان بن سعود من ابناء العمومة ، جاء اليه يشجعه ويؤيده ويسير الى جانبه . وسار من البحرين على رأس القوة التي جمعها - الى قطر يريد احتلالها ، فقاومه انصار اخيه ، فعاد ثانية الى البحرين . ولكنه لم يطل الاقامة فيها بل ذهب الى الحسا بعد ما انضم اليه المعجمان وآل مرة ومن وراء هؤلاء هؤلاء آل خليفة في البحرين يبذلون لهم كل مساعدة .

وهاجم المفوف (عاصمة الحسا) فاستعصت عليه فحاصرها . فجاء محمد علي رأس قوة من الرياض لانقاذها ، فالتقى الفريقان على ماء اسمه «جوده» فدارت معركة انتهت بفوز سعود بسبب خيانة قبيلة سبيع ، واعتقل سعود اخاه محمداً وسجنه في القطيف .

امام عمان يستولي على البريمي

وشجعت هذه الانقسامات امام عمان «عزان بن قيس» وقد بويع بالامامة في تلك الفترة ، فجمع جموعه وسار في صيف سنة ١٢٨٦ الى البريمي فدخلها ، بيد انه لم يفلح في السيطرة على الواحة بأكملها .

ولم يستهن الامام عبدالله بضياع البريمي ، فزحف بقواه شتاء ١٢٨٦ (١٨٦٩ - ١٨٧٠) الى « الحسا » ، توطئة لمهاجمة « البريمي » ، إلا انه اضطر للتخلي عن فكرة الحملة بسبب الجفاف الذي يجعل سلوك جيش كبير في الصحراء مستحيلاً ، هذا فضلاً عن اهتمامه بمجركات اخيه ، ولهذا السبب عاد الى الرياض مسرعاً .

الترك في الحسا

يظهر ان معركة « جوده » وقد انتهت بانتصار سعود على جيش اخيه محمداً ، كانت فاصلة ، فانه ما كادت اخبارها تصل الى مسامع الامام عبدالله ، حتى غادر الرياض مع خدمه وعبيده متجهاً الى الشمال حيث نزل على آل الرشيد في حايل .

واوفد من مقره الجديد رسولاً الى العراق اسمه عبد العزيز ابا بطين حملة ثلاث رسائل :

الاولى : الى مدحة باشا والي بغداد .

الثانية : الى خليل بك والي البصرة .

الثالثة : الى السيد محمد الرفاعي نقيب اشراف البصرة .

وتدور الرسائل الثلاث حول محور واحد ، وهو الشكوى من اخيه وطلب مساعدة الحكومة التركية في حربه معه .

واستجاب له مدحة باشا والي بغداد وكان يعد من دهاة الترك وعظماهم في عصره ، وجاء الى الكويت ليشرف على اعداد الحملة العسكرية التي قررت الحكومة العثمانية ارسالها مجرأ الى الحسا ، تلبية لطلبه .

ووصلت الحملة ونزلت في المهفوف واستولت على المقاطعة وطردت سعوداً منها ، وأنشأت حكماً عسكرياً تركيباً لمصلحة الترك وحدهم .^(١)

١) تقول الوثائق السرية لحكومة الهند (مرة ١٥٥) ان نافذ باشا قائد الحملة التركية الى « الحسا » سلم وثيقة اعترف بها « بأن مقاطعة الحسا يجب ان تكون خاضعة لحكم عبدالله بن سعود وعائلته » .

وأورد السيد سيف الدين شملان صاحب كتاب « تاريخ الكويت » اخبار هذه الحملة (ص ١٢٥) من كتابه ، فقال : « ومر بالكويت في طريقه الى بغداد والبصرة ، عبد العزيز بن عبدالله ابا بطين يحمل رسائل وهدايا الى مدحة باشا والي بغداد ، و خليل بك والي البصرة ، يطلب مساعدة الدولة له في خلافه مع اخيه سعود ، فاهتم مدحة باشا للأمر وكتب الى الباب العالي يشرح له الحالة ويطلب الموافقة على ارسال حملة الى الحسا خوف تدخل الانكليز ، فجاء الجواب بالموافقة . فأرسل اليها باخريتين هما : لبنان ، والاسكندرية ، كما ارسل اليها ناقلات شط العرب وعليها خمس كتائب وبعض الفرسان وفرقة المدفعية ، بقيادة اللواء محمد نافذ باشا ، ورئيس اركان حربه البكباشي رجب بك .

ومشت الحملة من البصرة في شهر ربيع الاول سنة ١٢٨٨ (ايار « مايو » ١٨٧١) قاصدة رأس تنورة . وجاء مدعت باشا الى الكويت بالذات على ظهر سفينة حربية تركية اسمها « زحاف » . وقد اخذ جميع سفن الغوص الكويتية لمساعدة الحملة وعددها ٨٠ ، فحملت أمتعتها وعتادها .

وساعد الكويتيون الحملة فأرسلوا قوتين : بحرية بقيادة الشيخ عبدالله بن صباح الثاني امير الكويت ، واخرى برية قادها الشيخ مبارك اخوه ، ووصلت هذه الى القطيف دون مقاومة وتسلمت القلعة من السديري الخ ...

الامير عبد الرحمن بن فيصل يهاجم الترك

استنكرت نجد واستنكر اهلها ، وصول الترك الى مقاطعة « الحسا » واستيلائهم عليها وسعيهم لتوطيد اقدامهم في ربوعها ، وهم الذين كانوا يعملون للخلاص من الترك ومن كل اجنبي .

وبذل الامير عبد الرحمن بن فيصل جهوداً كثيرة لدى الترك لاقتناعهم بالجلالة عن اقليم الحسا وتركه لاهله الذين يأبون الخضوع لهم ، ويجنون الى حكم آل سعود .

وقاد ، بعد ان ياس من التفاهم معهم ، ومن اقناعهم بالجلء عن بلاد لا حق لهم بالبقاء فيها ، جيشاً ضخماً من عشر آل مرة والعجمان وغيرها من القبائل (اواخر عام ١٢٩١) وبدأ فهاجم القوة التركية التي كانت ترابط على ابواب مدينة «المفوف» (العاصمة) فأبادها وحاصر الحامية التي كانت في قصر خزام واحتله بعد ما فتك بها . وتحصن المنطوعون الكوبيتيون الذين كانوا في الجيش التركي في حصن الكوت فحاصروهم العجمان .

ووصلت الاخبار الى بغداد والبصرة ، فانتدب الراي ناصر بن راشد بن ناصر بن سعدون رئيس عرب المنتفك لقمع الحركة الجديدة بعد ما ولاة اماراة «الحسا» و «القطيف» فسار اليها ، فاستبك الفريقان في معركة شديدة انتهت بانتصار راشد ، فغادر عبد الرحمن المنطقة عائداً الى الرياض بعد ما ادى واجبه القومي على احسن وافضل وجه .

معركة البره

ووفد رؤساء قحطان على الامام وهو في الشمال يعلنون تأييده ، فاشتد ساعده وعاد الى الرياض (محرم سنة ١٢٨٨) وما كاد يستقر به المقام حتى جاءته الاخبار بأن اخاه غادر الحسا في طريقه الى الرياض ، فأرسل اسلحته وامتعته الى ديار قحطان على ان يلحق بها .

والتقى سعود برجال اخيه في مكان اسمه «الجزعة» فدارت معركة انتهت بفوزه وحصوله على كل ما لأخيه من اسلحة واموال ، فشجع هذا النصر فأسرع الى الرياض فدخلها ونهبها، كما نهب الجيلية القريبه منها مع مدن اخرى في المقاطعة ، فكانت كارثة كبيرة تنزل بها وبابنائها بدون ذنب . ثم خرج بعد اسابيع على رأس حملة الى ديرة قحطان حيث ينزل اخوه . وعلم هو في «ثرمداء» بأن اخاه ارتحل الى «البره» فسار اليها بعد ما ارسل عمه عبدالله بن تركي الى شقرا ليقم فيها بانتظاره . والتقى الفريقان وكانت الهزيمة للامام ورجاله .

وجاءت الاخبار للامام وهو في الرويضة بوصول الحملة التركية الى الحسا ، فسار اليها فرحب الترك به وقالوا له انهم حين احتلالهم القطيف افرجوا عن اخيه محمداً الذي كان مسجوناً فيها . على انه لم يطل الاقامة بينهم لانه خاف ان يغدروا به ، فدبر حيلة استطاع ان ينجو بواسطتها ، فقصد الرياض ومعه اخوه وولده .

الرياض ثور على سعود

انجبه سعود ، بعد معركة « البره » الى الرياض ، فاستقبلته بالسلح ، وكانت حاقدة عليه لما أنزل بها ، وحاصرته في قصره ، وبعد حروب استمرت اباماً ، صالحته على ان يخرج والذين معه بالأمان ، فسار الى الدلم ومنها الى الحسا ، فالتف حوله جمهور كبير من العجمان وآل مرة ، فتقدم لقتال الترك فهزموه ، فلبجاً الى بادية العجمان .

الامام في الرياض

وتسلم الحكم في الرياض عبدالله بن تركي ، عقب خروج سعود منها ، وظل يمارسه حتى قدم الامام عبدالله الى الحسا مع اخيه وولده ، فسلمه له . وأرسل الامام حملة بقيادة اخيه محمداً الى الدلم للملاقة سعود الذي جاءت الاخبار بأنه سار من بادية العجمان الى الرياض .

واضم أهل الدلم الى سعود ، وفتحوا له أبواب مدينتهم خوفاً عليها ، فأصرع بالرجوع . وهاجم سعود والذين معه « ضرمي » و « حرميل » ونهبوا كل ما وجدوه فيها . ثم قصدوا الرياض ، فنازلهم عبدالله ومعه اهل الرياض ، فانتصروا عليهم فلبجاً عبدالله الى عشيرة عتيبة .

وغادر سعود الرياض بعد ان بايعه أهلها ونزلوا على حكمه ، الى ديار عتيبة لاخضاعها ، وكان اخوه ينزلها ، فاشتبك معهم في معركة فهزموه ، ففرق جنده

وعاد الى الرياض وفيها توفي يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٩٠، فاعتقد الكثيرون ان الازمة انتهت بوفاته ، وان نار الفتنة قد خبت، وان السكينة ستعود ، ولكن سير الاحداث خيب ظنونهم .

وأرسل الامام عبدالله ، وكان ينزل في ديار عتيبة حينما جاءه نعي سعود ، أخاه محمداً الى شقرا ومعه كتاب منه الى أهل الرشم يطلب تأييد أخيه والانضمام اليه .

وتسلم الحكم في الرياض ، عقب وفاة سعود ، شقيقه عبد الرحمن بالاتفاق مع أبناء هذا . وأعد حملة سار على رأسها مع أبناء سعود الى «ثرمداء» لملاقاة أخيه محمداً الذي وصل اليها ، فاشتبك الفريقان ثم تصالحا على ان يعود محمد الى المكان الذي جاء منه . واتجه عبد الرحمن بقواه الى الدوادمي لمنازلة عتيبة فزموه ، فعاد الى الرياض ولكنه لم يطل الاقامة فيها ، بل غادرها الى بادية عتيبة لاحقاً بأخيه عبدالله بعد جفاء حدث بينه وبين أبناء أخيه الذين حاولوا التفرد بالحكم باعتبار انهم ورثة أبيهم . وذلك بعد ان قتل كبيرهم محمداً ابن عم عبدالله بن عبدالله بن محمد بن سعود في مسجد الرياض .

واستقبل عبدالله أخاه بالحفاوة ، واغتتم فرصة الخلاف الجديد ، فجمع كل من استطاع جمعه من الانصار، وخرج يريد الرياض ليطرد أبناء أخيه ، وأمرع هؤلاء فجلوا عنها قبل وصوله . ورحبت به العاصمة وانضمت اليه .

انتفاض أمراء المقاطعات

أطمعت الحرب الأهلية المستمرة بين سادة البيت السعودي، أمراء المقاطعات وشجعتهم على العمل للانفصال والاستقلال بعدما ضعف شأن الدولة وضعفت هيبتها .

ودارت مكاتبات ، وجرت محادثات بين محمد بن عبدالله بن رشيد امير

«حابل» ، وحسن آل مهنا أبا الحيل أمير مقاطعة «بريده» ، فتم الاتفاق بينهما على أن يستقل كل منهما في ديرته ، وأن يتعاونوا في الدفاع عن هذا الاستقلال إذا هوجما .

وغادر عبدالله بن فيصل الرياض الى بريدة لاختضاع أميرها حينما رفع هذا راية الانقصال ، وواصل السير حتى مدينة عنيزة جارة بريدة . وقبل ان يستقر به المقام ، وصل الى عنيزة محمد بن رشيد للاشتراك في الدفاع عنها طبقاً للاتفاق المعقود . ولما بلغ ذلك عبدالله ، عاد الى الرياض لثلاثي شبك في معركة يصعب التكهن عن نتائجها .

وشجع تراجعها هذا ، أمير بريدة ، فنشر لاختضاع البلاد المجاورة له وضما الى امارته ، فأكثر من الغارات على مقاطعة الوشم وعلى عاصمتها «سقرا» بريد اخضاعها . كما غزا ، بالاتفاق مع ابن الرشيد ، بادية عتيبة .

وانضمت «المجمعة» الى المتحالفين ، فزاد ذلك في استحكام حلقات الفوضى التي عمت البلاد .

وسار الامام الى المجمعة يقود حملة لاختضاعها ، فطلبت النجدة من ابن الرشيد ، وكانت على اتفاق معه ، فجاء الى بريدة على رأس قوة كبيرة فانضم اليه أميرها ، وتقدم الاثنان الى الزلفى وأخذوا يعدان معدات الهجوم على عبدالله وكان في المجمعة ، فغادرها عائداً الى الرياض لضعف قواه ، فجاء ابن الرشيد وتسلم الحكم وعين لها أميراً من ابناء حابل اتباعه .

ولم يطق محمد بن سعود صبراً على هذه الحالة ، وكان يعد نفسه الحاكم الشرعي ل نجد ، فأعد حملة بالاتفاق مع عتيبة ، وجاء لمنازلة المتحالفين ، فهزموه .

ثلاث قوى تتصارع في نجد

وانتهى القرن الهجري الثالث عشر ، ودخل القرن الرابع عشر ، وبدأت الحرب الاهلية في نجد تزداد اتقاداً ، ودائرة الخلافات والمشاحنات تزداد اتساعاً .

وكانت في داخل نجد ثلاث قوى تتصارع وتتقاتل للفوز بالحكم ، وهي :

١ - قوة عبدالله بن فيصل الامام الشرعي .

٢ - قوة أبناء اخيه سعود .

٣ - قوة محمد بن الرشيد أمير حائل الذي نزل الى الميدان يريد اخضاع نجد .

ورأى الامام عبدالله ، أن تقاضاه مع ابن الرشيد قد يحل المشكلة لأنه الابن عريكة وأقرب اليه من ابناء اخيه ، على أن يلتفت الى هؤلاء بعد ذلك ويصفي حسابه معهم .

ورأى ان يمد لتنفيذ هذه السياسة التي رسمها ، بمعركة عسكرية يفوز فيها فترتفع اسسه ، ويسطع نجمه ، فغادر الرياض سنة ١٣٠١ يقود حملة الى الجمعية المجاورة له يريد اخضاعها بعد أن استعصت عليه في المرة الاولى . وما كاد يبدأ حصارها حتى وصلت قوى المتحالفين ، فنازلته وهزمته ، فارتد الى العاصمة .

وبسط ابن الرشيد نفوذه ، بعد هذه المعركة ، على الرشم وسدير ، وعين لها الحكام ، وكاتب البلاد الاخرى طالباً منها الدخول في طاعته . على ان ذلك لم يمنع الامام عبدالله من الاتصال به طلباً للتفاهم والوفاق . وفي سبيل ذلك أوفد اليه أخاه محمداً مع كتاب ودي رقيق يدور في هذا الاطار ، فأكرمه ووعده وعداً معسولاً وأرسل معه هدية ثمينة ، ثم بادر فجلاً عن مقاطعة الرشم اكراماً له وللتدليل على حسن نيته ، وكتب اليه واعدأ بالمسالمة والتزام الهدوء.

ابن الرشيد في الرياض

وبينا كانت الامور تجري على هذا المتوال ، واصل محمد بن سعود اعداد القوى لمحاربة عمه والتغلب عليه ، فدارت بينهما عدة معارك انتهت سنة ١٣٠٦ بتغلبه على عمه ودخوله الرياض واعتقاله له والقائه في السجن .

وأرسل عبدالله ، ومعركة الرياض دائرة بينه وبين ابن أخيه ، رسالة الى ابن الرشيد يستنجد به ويطلب اليه القدوم لنصرته ، فلباه وزحف الى الرياض على رأس قوة كبيرة ، فدخلها في السنة نفسها وهزم محمداً ، وأخذ عبدالله وأخرجه من السبعن .

ولم يطل الإقامة في الرياض ، بل عاد الى حائل بعد ما عهد الى الامام عبد الرحمن بن فيصل بالحكم ، وأقام الى جانبه مندوباً يمثله ، هو سالم السبهان مع قوة صغيرة تمثل السيادة الجديدة .

ولم يعيش عبدالله طويلاً بعد ذلك ، فلحق بربه يوم ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٠٧ ، فطويت بموته صفحة قائمة من تاريخ نجد الحديث .

بين الامام عبدالله والانكليز

لم يقع أي اتصال او احتكاك بين الامام عبدالله والانكليز في الخليج مدة ولايته ، سوى ذاك الذي وقع بسبب حادث «صور» الذي بدأ في عهد أبيه ، وتولى هو تسويته بايقاده خادمه محمد بن مانع الى « بندر بو شهر » حاملاً كتاباً منه اليه ، كما حمل رده إلى الامام .

واعتبرت تلك الحادثة منتهية على الاثر . ولم يحدث بعدها أي اتصال بسبب انهاك نجد في الحرب الاهلية . ولم تسجل التقارير السرية أي تبديل في أوضاع الخليج خلال تلك المرحلة .

عبد الامام عبد الرحمن بن فيصل

في اواخر عام ١٢٩١ توفي سعود بن فيصل متأثراً من مرض اصيب به ، فزادت نجد بأخيه عبد الرحمن خليفة له ، غير ان مدة حكمه لم تتجاوز نصف عام ، اذ ظل يسمى حتى تم على يده في سنة ١٢٩٢ التوفيق بين اخيه الكبير عبد الله وبين ابناه اخيه سعود ، حرصاً على مصلحة الشعب والدولة ، فعاد عبد الله الى الحكم وقنع عبد الرحمن بمنصب المستشار الاول لأخيه . وقد ظل الى جانبه حتى وفاته (ذي الحجة ٣٠٧ ، نهاية يوليو سنة ١٨٩٠) فنودي به اماماً بالاجماع^(١) وزعيماً للبيت السعودي لما امتاز به من الكفاءة والمقدرة وبمد النظر وحسن التقدير ، فوضع نصب عينيه اصلاح الحال ، ورتق ما فتقته الاحداث ، وتضميد الجروح الدامية ، وحشد لذلك جميع طاقاته وامكانياته وقواه .

(١) جاء في الوثائق السرية لحكومة الهند ان الامام عبد الرحمن بويج بالامامة باجماع الشعب سنة ١٨٧٥ .

وحسب محمد بن رشيد ، أمير حاييل ، وكانت قواه تحتل الرياض وله فيها «مندوب سام» حساب هذه الرسالة الجديدة التي جاء الامام يبشر بها ، ويسعى لتحقيقها ، وكان معروفاً بالعزم والاقدام ، فأدرك ان مصلحته الخاصة تقضي بالتخلص منه فلا يقف عقبة في سبيل تحقيق مطامعه ولا يسلبه ما وصل اليه وبذل الكثير لأجله ، فأسر الى مندوبه في الرياض (سالم السهان) بخطة مدارها اغتيال الامام في حفلة التهنئة بالعيد ، للتخلص منه ومن نشاطه .

وجاء من اوحى للامام بتفاصيل الخطة ، ونبهه الى المؤامرة التي يفتلون خيوطها للايقاع به .

وحل يوم العيد وجاء سالم السهان للتهنئة ، بعد ما اعد العدة لتنفيذ الخطة المرسومة ، فاستقبله الامام وأجلسه على يمينه . وبادر رجاله وكانوا على اتم استعداد ، فاعتقلوا السهان وكيلوه بالحديد وانزلوه السجن بعد معركة صغيرة دارت داخل القصر .

واستقل الامام بالحكم والسلطان وانضمت اليه القصيم وبعض المقاطعات .

واعد محمد بن الرشيد حملة ، حينما جاءه النبأ ، وخرج على رأسها يريد الرياض ، فاصطدم باهل القصيم الذين وقفوا في وجهه ، وحاولوا صده عن سبيله ، فاسترضاهم بوعود بذلها لهم ، ومن جعلتها خيرات المعزة وبوادي مطير ، فافسحوا له الطريق ، فبلغ الرياض وكانت على استعداد للقاءه ، فحاصرها فاستعصت عليه ، ولما طال المطال نهض رجاله يطالبون بفك الحصار والعودة بهم الى ديارهم ، والبدوي ملول ينفر بروحه وطبعه من المرابطة حول الحصون ، فانتدب رسولا أرسله الى الامام يطلب الدخول في مفاوضات الصلح والاتفاق ، فاستجاب له وألف لمفاوضته وفدأ هذه اسماء اعضاءه :

١ - محمد بن فيصل (شقيقه) رئيساً .

٢ - عبد العزيز بن عبد الرحمن (نجله) (عضواً) .

٣ - الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف (عضواً) .

واجتمع الوفدان السعودي والرشيدي ، ودارت مفاوضات انتهت بالاتفاق على عقد الصلح ضمن الشروط الآتية :

- ١ - اطلاق سراح سالم السبهان .
 - ٢ - تكون امانة العارض لعبد الرحمن بن فيصل .
 - ٣ - يعود ابن رشيد الى حائل .
- وكان ذلك في سنة ١٣٠٧ ، وهدأت الحالة في نجد .

بين ابن رشيد واهل القصيم

زار وفد من اهل القصيم محمد بن رشيد مطالباً بتنفيذ الوعد الذي قطعه لهم حين مروره بأرضهم في طريقه الى الرياض ، فأطل وسوف ، فعاد الوفد الى قومه منادياً بأن صاحبهم ليس سوى مخادع ، وانه لا ينوي الرفاء بوعده ، فاتفقوا على مهاجمته واستيفاء حقهم بالقوة ، وكاتبوا الامام عبد الرحمن فانضم اليهم وتعاهد معهم .

والتقى ابن رشيد واهل القصيم في مكان اسمه المليدي^(١) ، ولما حمي القتال تظاهر بالانسحاب فلحقوا به ، فخرج عليهم كمين أعده من رجاله فأنهزموا وكسرت يد حسن المهنا امير عزيزه فلجأ الى بريدة فطارده ابن رشيد واعتقله ، وظل في السجن حتى سنة ١٣٢٠ فمات فيه . ووصل الامام وجيشه معه الى الابدان ، ولكن بعد انتهاء المعركة وبعد ان كتب النصر لابن الرشيد فأعاد النظر في موقفه ، بعد ان ظهر بما ظهر به من التحالف مع اهل القصيم فأدرك ان مصلحته ، ومصلحة مدينه الرياض واهلها ، بل ومصلحة نجد معها صارت تقضي عليه بالابتعاد اتقاء لحرب جديدة قد لا ترضي نتائجها ، فانجبه الى الحسا ومعه عائلته وبعض خاصته ، ونزل على آل مرة (شرق نجد) .

(١) دارت هذه المعركة يوم الجمعة ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ وتمت السيطرة لابن الرشيد على نجد في ختامها .

وولي ابن رشيد محمد بن فيصل امارة الرياض ولكن بدون سلطة ، ولما توفي بعد قليل لم يعين احداً مكانه من آل سعود ، واكتفى بتسمية احد اتباعه اميراً على العارض .

وارسل عاكف باشا متصرف الحسا ، وكانت بيد الترك ، مندوباً رحب بالامام ، وطلب منه باسم الحكومة العثمانية ان يتعاون معها ضمن الشروط الآتية :

١ - يتولى امارة الرياض تحت سيادة الحكومة العثمانية ورعايتها .

٢ - يدفع لها مبلغاً من المال سنوياً بدل سيادة .

٣ - تقدم له السلاح وتحميه .

واعتذر عن القبول لأنه يأتف ان يعيش في ظل دولة يعتبرها اجنبية :

وغادر الحسا بعد قليل الى الكويت ، فأبى الشيخ محمد بن صباح وكاف يحكم تحت الراية العثمانية ، السماح له بالنزول فيها ، فضرب في البادية واستقر بجوار قبائل بني مرة قرب الربع الخالي .

وقصد بعد اقامة امتدت اشهرأ الى «قطر» وهي في الاصل من اعمال الحسا ، فأقام فيها شهرين ثم عاد الى الكويت فاستقر فيها مع عائلته واولاده ورجاله الذين اتبعوه ، ضيفاً على الحكومة العثمانية التي خصصت له راتباً شهرياً قدره ستون ليرة عثمانية ذهباً .

ولم يطل امد هذه الفترة ، فقد احيا نجله الاكبر عبد العزيز ، الدولة وجدد شبابها ، وبعثها بعثاً جديداً ، فصارت من اعظم دول الشرق العربي ، كما كانت عنصراً كبيراً من عناصر الاستقرار والتقدم في هذا الشرق .

ولقد فصلنا اخبار هذه النهضة العظيمة التي نهضتها نجد في المجلد الثاني من هذا الكتاب ، ويصدر قريباً .

الفهرست

صفحة

٥

اسماء الذين تولوا الحكم من آل سعود

١٥

مقدمة

٢١

نجد في التاريخ

٢٥

شعراء نجد الاوائل

٢٧

دعوة الاصلاح الديني

٣١

حالة تركيا وبلاد العرب حين ظهور الدعوة

٣٢

حالة تركيا عند ظهور الدعوة

٣٢

حالة البلاد العربية

٣٥

اتفاق الدرعية

٤١

نشأة الدولة السعودية

٤١

حالة نجد عند ظهور الدعوة

٤٣

الدعوة والجهاد

٤٥

دروس الشيخ محمد ومؤلفاته

٤٧

مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب

٤٩

محمد بن سعود

٥٠

معارك الرياض

٥١

خضوع المدن المجاورة

٥٢

حرب الاحزاب

٥٢

معركة احزاب أخرى

٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٦٠
٦١
٦٢
٦٢
٦٦
٦٧
٦٧
٦٨
٦٨
٦٩
٦٩
٧٠
٧٢
٧٣
٧٥
٧٦
٧٦
٧٩
٨٠
٨١
٨٣
٨٤
٨٤

عهد الامام عبد العزيز
غزو مقاطعة القصيم واخضاعها
نجد بين العراق والحجاز
حرب العراق
غارات نجدية على العراق
التورك بعيدون الكرّة
المهجوم على كربلاء
حرب الحجاز
المعركة الأولى
المعركة الثانية
المعركة الثالثة
المعركة الرابعة
المعركة الخامسة
المعركة السادسة
المعركة السابعة
هدنة وصلح موقت
الاستيلاء على عسير
مقتل الامام عبد العزيز
عهد الامام سعود الكبير
فتوحات سعود الكبير وغزواته
غزو البصرة وجنوبي العراق
العودة الى الحرب في الحجاز
بيعة أهل المدينة
سعود في المدينة
غزو اليمن وتهامة
غزو نجران
الحدبدة وبيت الفقيه

٨٥	غزو الشام
٨٦	معارك الخليج
٨٨	اخضاع عمان ومسقط
٨٩	الدعوة وحملة نابوليون على مصر
٩٠	الدعوة والحلمة
٩٠	الانكليز والحلمة
٩٣	الاحتلال المصري لجزيرة العرب
٩٤	ظهور محمد علي الالباني
٩٤	في طريق الحلمة الى الحجاز
٩٦	مذبحة المهاليك
٩٨	المعارك الاولى
٩٩	وصول الحلمة الثانية وانزاعها
١٠٠	الاستيلاء على جدة ومكة
١٠٠	خطة السعوديين الجديدة
١٠١	الحلمة الثالثة
١٠٢	وفاة الامام سعود
١٠٣	سياسة خارجية للامام سعود
١٠٤	تعليقات الانكليز الى مندوبهم في بوشهر
١٠٥	الامام يحتج والمعتمد يرد
١٠٦	الرد على احتجاج بريطاني
١٠٦	دعوة للصالح والسلام في مسقط
١٠٦	نصيحة بريطانية للسلطان
١٠٧	حول انشاء علاقات دائمة
١٠٧	عدم الدخول في اي تعاقد
١٠٨	الحاكم العام يحيى ابراهيم باشا
١٠٨	بين الامام سعود وفرنسا
١٠٩	اخبار اخرى عن الخليج

١١١	عهد الامام عبدالله بن سعود
١١١	مقابلة بين قوة نجد وقوة مصر
١١٢	النسبة العددية للسكان
١١٢	النسبة بالثروة
١١٢	التنظيم العسكري
١١٣	التفوق بالمدفعية
١١٣	خطوط المواصلات
١١٣	ميزتان لأبناء نجد
١١٥	الحروب في تهامة وعسير
١١٦	معركة بسل
١١٧	العودة الى الميدان الشرقي
١١٧	هدنة ٢٠ يوماً
١١٧	شروط طوسون للصلح
١١٩	ابراهيم بدل طوسون
١١٩	الصلح مع اهل الرس
١٢١	معارك الدرعية
١٢٣	الاستيلاء على خط الدفاع الاول
١٢٣	حرب الخنادق
١٢٥	حرب الشوارع
١٢٦	يطلبون الصلح
١٢٧	شهداء آل سعود
١٢٧	مصادرة اموال آل سعود
١٢٨	تدمير الدرعية
١٢٨	مجموع القتلى
١٢٩	نظرة في أعمال الحملة
١٢٩	بدأت بمذبحة وانتهت بكارثة
١٣٠	خرائب الدرعية وأطلالها

١٣١	عهد الامام تركي بن عبدالله بن سعود
١٣٢	المحولة الاولى
١٣٣	وصول تركي بن عبدالله
١٣٤	مظالم الجيش المصري
١٣٥	عودة الامام تركي
١٣٧	منشور الامام تركي الى اهل نجد
١٤٠	اغتيال الامام تركي
١٤١	فاجعة مؤلمة
١٤٢	الانتقام والنار
١٤٣	الامام تركي والانكليز
١٤٥	عهد الامام فيصل بن تركي
١٤٥	الدور الاول
١٤٧	خطة معقولة سديدة
١٤٨	الامام في الميدان
١٤٩	حملة مصرية ثانية
١٥١	اتفاق الجلاء عن جزيرة العرب
١٥٧	عودة الامام فيصل الى نجد
١٥٨	تأييد شعبي كبير
١٥٨	العودة الى الخليج
١٥٩	منشور الامام فيصل
١٦١	بين الامام فيصل والانكليز
١٦١	الحرب مع مسقط
١٦٢	اول خلاف بين حكومة الامام والانكليز
١٦٤	جواب حكومة الهند الى الامام
١٦٤	اول معتمد بريطاني يزور الرياض
١٦٧	معاهدة صداقة ومودة
١٦٨	اخبار أخرى عن الخليج

١٦٩	عهد الامام عبدالله بن فيصل
١٧٠	عوامل الخلاف وأسبابه
١٧١	كيف بدأت الحرب الاهلية
١٧٢	معارك الخليج
١٧٢	امام عمان يستولي على البريمي
١٧٣	الترك في الحسا
١٧٤	الامير عبد الرحمن بن فيصل يهاجم الترك
١٧٥	معركة «البره»
١٧٦	الرياض تنور على سعود
١٧٦	الامام في الرياض
١٧٧	انتفاض أمراء المقاطعات
١٧٨	ثلاث قوى تتصارع في نجد
١٧٩	ابن الرشيد في الرياض
١٨٠	بين الامام عبدالله والانكليز
١٨١	عهد الامام عبد الرحمن بن فيصل
١٨٣	بين ابن رشيد وأهل القصيم

مطبعة كورم - بيروت

مؤلفات الاستاذ امين سعيد

المطبوعة

١٩٣٤	صدر سنة	ملوك اليمن المعاصرون ودولهم
١٩٣٤	» »	أيام بغداد (رحلة في العراق)
١٩٣٦	» »	الثورة العربية الكبرى (ثلاثة مجلدات)
١٩٣٧	» »	تاريخ الاسلام السياسي (مجلدان)
١٩٣٨	» »	الدولة العربية المتحدة (٣ مجلدات)
١٩٥٨	» »	مصر من الحملة الفرنسية حتى انهيار الملكية
١٩٥٩	» »	الثورة « ثورة جمال عبد الناصر »
١٩٥٩	« »	العدوات
١٩٦٠	» »	تاريخ اليمن السياسي
١٩٦٠	» »	الجمهورية العربية المتحدة (مجلدان)

(أصدرت هذه الكتب وعددها ١٦ مجلداً ، مكتبة عيسى البابي الحلبي

وشركاه بالقاهرة) .

١٩٦١	صدر سنة	الوطن العربي
١٩٦١	» »	ثورات العرب في القرن العشرين (دار الهلال)
١٩٦١	» »	أبجد آل سعود (رحلة في المملكة العربية السعودية) (اصدار مكتبة دار التعاون بالقاهرة)

تاريخ الدولة السعودية (٣ مجلدات) صدر في بيروت سنة ١٩٦٤

★

فيد الصدور في بيروت

- الخليج في نهضته الجديدة .
- أعمال تتكلم (بين الاتحاد السوفياتي والعالم العربي) .

★

كتب تحت الطبع للمؤلف

- بلاد العرب في ظل الحكم العثماني .
- سورية من الاحتلال الى الوحدة .
- جمهورية لبنان .
- الجزائر .
- تاريخ المغرب السيامي .
- السودان المستقل .
- ليبيا المستقلة .
- تاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز .
- الدولة الفيصلية في الشام .
- الدولة الهاشمية في الاردن .
- ثورة العراق .
- تونس المستقل .
- الجامعة العربية (مجلدان) .

تصويبات وملاحظات على المجلد الأول

تفضل أحد كبار علماء نجد فارسل لنا هذه التصويبات تعليقاً على الجزء الاول من كتابنا ننشرها شاكرين فضله واحسانه .
قال :

عندما عد المؤرخ في مقدمة كتابه امراء ال سعود لم يذكر الامير مشارى ابن سعود بن عبد العزيز الذي تغلب عليه مشارى بن معمر واخذ الدرعية منه مرة ثانية وسلمها لعشيرته آل معمر وسلموه لأبوش القائد التركي المعسكر بعنيزة ، فسجنه حتى مات ولم يذكر الامير الشجاع العظيم عبدالله بن ثنيان الذي ثار على خالد بن سعود واخرجه ومن معه من المصريين والأتراك وطهر نجدا من عساكر الدولة . كما اهمل الامير خالد بن سعود بن عبد العزيز الذي سيره محمد علي باشا الى نجد وملكها ملكا اسميا خاضعا لمحمد علي باشا . واهمل ذكر سعود بن فيصل بن تركي الذي نازع الامارة اخاه عبدالله بن فيصل .

المهملون على النحو الآتي م :

- ١ - مشارى بن سعود بن عبد العزيز
- ٢ - الامير عبد الله بن ثنيان
- ٣ - خالد بن سعود بن عبد العزيز

والمؤلف العذر في عدم عدّه مع افراد آل سعود لانه يعتبر منصوباً لمحمد علي باشا .

جاء في ص ٢٧ قوله ونشأ في كنف والده الشيخ سليمان . والصحيح ان والد الشيخ اسمه عبد الروهاب . - وجاء في ص ٣٨ ونزل في الدرعية عند عبدالله بن سالم وصوابه حمد بن سويلم .

وجاء في ص ٣٩ موزي بنت ابي وحطان وصوابه وطبان .

وجاء في ص ٤٩ بعد الشيخ مانع العنيزي وصوابه العنزي نسبة للقبيلة لا العنيزي نسبة للبلدة . ويقول وهو في الاصل من شيوج عنيزة ابن ربيعه وصوابه عنزه بن وائل وقد اراد بعنيزة قبيلة عنزة المشهورة . ثم قال بن ربيعه ليس هو والد عنزه بل جدها وجد قبائل بني حنيفه . ويقول في آل يزيد وهم في الاصل من آل الدغثير ، والصحيح ان آل دغثير من آل يزيد لا العكس .

وجاء في ص ٦٤ واختار الامير عبد العزيز بن سعود الشيخ عبد العزيز الحصيني . وصوابه الحصين .

وجاء في ص ٨٠ بن مضياف وصوابه ابن مضياف .

ويقول في ص ١٠٨ وبناء على طلب امبراطور الفرنسيين يعني نابليون بونابرت ، هاجم الوهابيون تركية في منطقة بلاد ما بين النهرين . وسعود الامام بن عبد العزيز بن محمد بن سعود اجل من ان يكون مطية للاستعمار او لتابليون الذي دام الازهر بجيله ورجاله . وذكر قبله في ص ١٠٠ ان طوسون ركب البحر من ينبع الى جده ففزها بدون قتال لانها لا تزال بيد العثمانيين ونحن نسلم له ما ذكر ما عدا قوله انها لا تزال بيد العثمانيين ، فنقول ليس بصحيح لما دخل سعود بن عبد العزيز الحجاز لم يبق للعثمانيين ولاية على جده ولا على غيرها من مدن الحجاز وانما دخلها طوسون كما دخل مكة بخيانة غالب بن مساعد شريف مكة .

وقال في ص ١١٧ وكتب الامام عبدالله بن سعود قبل مباشرة القتال في اراضي نجد يطلب عقد صلح وهذا قول وقع فيه هو وغيره ، فليس عبدالله بن سعود هو الذي طلب الصلح من طوسون بن محمد بل طوسون هو الذي طلب الصلح بامر من والده محمد علي باشا لان مصر قامت فيها حركة ترمي الى خلع محمد علي باشا فرحل من الحجاز اليها وارسل العطاس الى ابنه طوسون يأمره ان يعقد صلحا مع عبدالله ويرجع اليه في مصر وحصل الاتفاق على شروط ليس هذا محل ذكرها ورجع طوسون ومعه من رجال عبد العزيز بن سعود القاضي عبد العزيز حمدو بن بنيان من اهل الدرعية يحملان شروط الصلح فوافق عليها محمد علي باشا ثم بعد ذلك باشر حصل من عبدالله بن سعود رحمه الله تعالى ما اوجب نقض ذلك الصلح . فكتب اليه محمد علي باشا يطلب منه هذه الشروط القاسية التي ذكرها المؤرخ هنا في ص ١١٨ اويسير اليه ولده ابراهيم باشا لقتاله . فلم يقدر عبدالله بن سعود على هذه الشروط القاسية ، وارسل الى محمد علي باشا بمصر اثنين من قبله هما حسن بن مزروع وعبدالله بن عون لتقرير الصلح الاول فلم يرض محمد علي بذلك وسير ابراهيم باشا لقتال عبدالله فحصل ما حصل .

وذكر المؤرخ بعد هذا في ص ١٢٧ ان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب استشهد في معركة الدرعية . وهذا ليس بصحيح . عبد الله جاهد جهاد الابطال وسلم من القتل ونقل الى مصر ومات بها وخلف بها ذرية معروفة الى اليوم كما خلف ذرية بنجد .

وجاء في ص ١٣٣ آل تامر وصوابه آل شامر .

وجاء في ١٥٧ وكان في الرياض عبدالله بن ثنيان يتولى امرها اقامه المصربون حين جلائهم . وهذا خطأ بل عبدالله بن ثنيان تار المصريين واخرجهم مع اميرهم خالد بن سعود وانتزعها بحمد السيف .

وذكر ان سعود بن محمد مقرن انتزع ملك الدرعية من آل معمر . هذا ليس بصحيح . لم تكن الدرعية في يوم من الايام لال معمر الا بعد ما دمرها

ابراهيم باشا ورحل اليها محمد بن مشاري بن معمر الذي سلم الامير مشاري بن سعود لايوش القائد التركي المعسكر في عنيزه وقتله القائد فثار الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى لمشاري وقتل به معمر وولده وحلون وملك الدرعية والرياض منها . وقد ذكر هذا المؤرخ قبل هذا كله ان فتح الرياض وقع في حياة محمد بن سعود وصوابه انه بعد وفاة الامام محمد بن سعود .

وقال في ص ١٤١ بعدما ذكر قصة اغتيال تركي بن عبدالله بن سعود رحمه الله تعالى ، وجاء الى مسجد الطريق الاداء صلاة الجمعة ، وهذا غلط مسجد الطريف بالدرعية عاصمتهم الاولى وتركبي قتل في الرياض عاصمتهم الجديدة لان تركي انتقل اليها من الدرعية واتخذها مقر حكمه وقتل بها رحمه الله .
ثم اهمل ثورة عبدالله بن ثنيان على خالد بن سعود ومن مع خالد من العساكر المصرية ، وتحرير نجد منهم .



بيانات أهم الوقائع والحوادث التي حصلت في عهد الملك عبد العزيز

الرقم	الوقائع
١	وقعة الصريف ١٦ ذي القعدة عام ١٣١٨ هـ .
٢	احتلال الرياض ٥ شوال عام ١٣١٩ هـ .
٣	فتح عنيزة ٥ محرم عام ١٣٢٢ هـ .
٤	وقعة البكيرية ١ ربيع الاول عام ١٣٢٢ هـ .
٥	وقعة الشنانة ١٨ رجب عام ١٣٢٢ هـ .
٦	وقعة روضة مهنا وقتل عبد العزيز بن رشيد عام ١٣٢٤ هـ .
٧	وقعة الطرفية ٥ شعبان عام ١٣٢٥ هـ .
٨	احتلال بريدة وكسرة ابي الخليل في عام ١٣٢٦ هـ .
٩	وقعة هدية ١ جمادي الثاني عام ١٣٢٨ هـ .
١٠	احتلال الحريق وقتل الهزازنة عام ١٣٢٨ هـ .
١١	فتح الاحساء ٥ جمادي الاولى عام ١٣٣١ هـ .
١٢	وقعة جراب ٧ ربيع الاول عام ١٣٣٣ هـ .
١٣	وقعة كنزان مع المعجمان عام ١٣٣٣ هـ .

الوقائع	الرقم
وقعة تربه في ٢٥ شعبان عام ١٣٣٧ هـ .	١٤
الاستيلاء على عسير في شوال عام ١٣٣٨ هـ .	١٥
وقعة الجهراء في ٢٦ محرم عام ١٣٣٩ هـ .	١٦
سقوط حائل في ٢٩ صفر عام ١٣٣٩ هـ .	١٧
سقوط الطائف في ٧ صفر عام ١٣٤٣ هـ .	١٨
دخول مكة في ٧ جمادى الاول عام ١٣٤٣ هـ .	١٩
تسليم المدينة في ١٩ جمادى الاول عام ١٣٤٤ هـ .	٢٠
تسليم جدة في ٦ جمادى الثاني عام ١٣٤٤ هـ .	٢١
مبايعة الملك عبد العزيز ملكا على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ .	٢٢
حادث المحمل المصري ٨ ذي الحجة عام ١٣٤٤ .	٢٣
وقعة السبلة يوم السبت في ١٩ شوال عام ١٣٤٧ هـ .	٢٤
اجتماع الملك عبد العزيز بملك العراق في ٢١ رمضان عام ١٣٤٨ هـ .	٢٥
ثورة حامد بن وفادة عام ١٣٥١ هـ .	٢٦
ثورة الادارسة في ٥ رجب عام ١٣٥١ هـ .	٢٧
تحويل اسم ملك الحجاز وسلطان نجد الى اسم ملك المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادى الاولى ١٣٥١ هـ .	٢٨
مبايعة الامير سعود بن عبد العزيز بولاية العهد عام ١٣٥٢ هـ .	٢٩
حرب اليمن في ٦ ذي الحجة عام ١٣٥٢ هـ .	٣٠
الاعتداء على جلالة الملك عبد العزيز في الحرم عام ١٣٥٣ هـ .	٣١
وفاة الملك عبد العزيز في ١ ربيع الثاني عام ١٣٧٣ هـ .	٣٢